نساء حول الرسول ﷺ

محمد إبراهيم سليم

دار الطلائع

اسم الكتاب: نساء حول الرسول ﷺ
المؤلف: محمد إبراهيم سليم
رقم الإيداع: 2002/5131
الترقيم الدولي: 977 - 250 - 277 - 1

تصميم الغلاف الفنان: إبراهيم محمد إبراهيم

● جميع الحقوق محفوظة للناشر ●

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

ص.ب 50649 الرياض 11533 ـ هاتف: 4353768 ـ 4351966 ـ 4359066
فاكس: 4355945 جوال: 0550671967

E-mail: alsaay99@hotmail.com

مطابع العبور الحديثة – القاهرة
تليفون: 46651013 فاكس: 46651599

٤٢ شارع على أمين امتداد مصطفى النحاس ـ
مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون: ٢٣٨٢٤٠٢٢ ـ ٢٣٨٢٤٠١٣ (٢٠٢ +)
فاكس: ٢٣٨٢٤٢٣٣ (٢٠٢ +)

E-mail : info@altalae.com
Web site: www.altalae.com

المرأة العربية فى ميزان العربية

«خيرُ نساءِ رَكِبْنَ الإبلَ.. صالحُ نساءِ قُرَيشٍ

- أحناهُ على وَلدِ..
- وأَرْعاهُ علَى زوجٍ في ذات يدَهِ!!»

(حديث شريف)

أخرجه البخارى في صحيحه ومسلم

وأبو داود والنسائى وابن حبان

مقدمة

الحمد لله الذى خلقنا من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء.

وصلاةً وسلاما على من علمنا أن «النساءُ شقائقُ الرجال»[1]، وأن «الجنة تحتَ أقدامِ الأمهات»[2]، وأن «من ابتُلِي من هذه البنات بشيءٍ فأحَسنَ إليهُنَّ كُن لهَ سِترًا من النارِ»[3].

وبعد

فلقد كرم الإسلام المرأةَ: وليدةً وفتاةً.. زوجةً وأمًا.. أختًا وبنتًا.

ولقد ذكر القرآن الكريم عددا من النساء كالن لهن دور بارز فى تاريخ البشرية مثل: حواء، وأم موسى، وأخته، وزوجة فرعون، وملكة سبأ، ومريم ابنة عمران.

كما حفلت آيات القرآن بإجابة عن أسئلة النساء، أو حَلّ لمشاكلهن كما فى «سورة المجادلة».

وقد نزلت آيات من القرآن فى عدد من النساء، كما نزلت آيات أخرى فى عدد من الرجال. إلى جانب إفراده سورتين للنساء هما: سورة النساء، وسورة الطلاق، التى تسمى «سورة النساء الصغرى».

وقد تحدث القرآن عن المؤمنات اللاتى جئن رسول الله ﷺ مبايعات أو مهاجرات كما فى «سورة الممتحنة».

---

(1) أخرجه أحمد فى المسند (6/ 256)، وأبو داود فى سننه (كتاب الطهارة باب الرجل يجد شيئا فى منامه) حديث رقم (236).

(2) أخرجه النسائى بلفظ: «فالزمها فإن الجنة عند رجلها» [حسن الأسوة].

(3) أخرجه الشيخان والترمذى. [حسن الأسوة].

ماذاك إلا لأن المرأة نصف الأمة، بل هى بمنزلة القلب منها فإذ صلحت صلحت الأمة، وإذا فسدت الأمة. وقد أدرك هذا أعداء الإسلام الذين يتربصون به وكشفت الأيام عن نواياهم.

تقول المبشرة: «أنا ميلجان»:

«ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من تعليم بنات المسلمين فى مدارس التبشير الخاصة»!!

«.. إن القضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس التى أنشئت خصيصًا لهذه الغاية، والتى تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربى الذى تختفى فيه كلمة: الحرام، والحياء، والفضيلة»[1].. ثم تقول: «ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة.. من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة»[2].

وإذا كنا بصدد إعادة صياغة العقل المسلم، فغن المرأة المسلمة مدعوة فى هذا العصر إلى مشاركة الرجل، بل إلى سبقه أيضًا فى العودة إلى الإسلام، والتمسك به بقوة: عقيدةً، وعبادةً، وسلوكًا؛ حتى يتسنى لنا - من جديد- إعادة بناء البيت الإسلامى على دعائم قوية ينشأ فى ظلالها الأبطال، والمجاهدون فى سبيل إعلاء كلمة الله، كما رأينا فى صدر الإسلام.

وإن خير ما يساعدنا على بلوغ الهدف: «القدوة الحسنة والأسوة الطيبة» فلا صلاح لهذا المجتمع إلا بما صلح به أوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأنعام: 90].

فإلى الذين ينشدون مجتمعًا مثاليًا، مترابط الأواصر، قائمًا على الحب، والتراحم، والإيثار، ورعاية الكرامة الشخصية لكل فرد مع

(1) ملحق مجلة الأزهر. جمادى الآخرة 1405 هـ.د عمد الودود شلبى.
(2) نفس المرجع.

الاستمساك بأهداب العفة، والحياء، والوقار.. إليهم أقدم هذه النماذج وتلك الأمثلة العليا للمرأة فى صدر الإسلام، وإن شئت فقل: لنساءٍ كن حول الرسول ﷺ فى كل معاركه، فمازلتَ سيرة الصحابيات مبارة لمن أردن الله ورسوله والدار الآخرة، إنها نماذج عليها، أُحْسِنَ اختيارها وأعيد تنسيقها، وركَّز على مواطن القَدوة منها ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].

هذا.. وقد أتحت للمرأة المسلمة أن تعايش تسعة نماذج للقدوة فى مجالات متعددة، وفى شتى الميادين.. فى السلم والحرب.. فى البعد والقرب.. وتحت كل «نموج» من هذه النماذج ستة أمثلة تبرز جوانب القدوة فى المرأة المسلمة فى عصرها الأول.. مؤيدة للدعوة.. وحاملة للراية، ومدافعة عن الحق، وواقفة كالطود من حول الرسول ﷺ تؤيده، وتناصره، تبايعه، وتتابع خطاه، وتذود عنه وتهاجر في سبيل الله.

إن المرأة المسلمة اليوم تقع تحت ضغطوط تكاد تبعدها عن منابع الإسلام الأولى، وتحول بينها وبين تَفَهُّمِ رسالته.

ألا ما أشد حاجتها إلى وعى جديد بدينها، وتعرّف على قيمه ومبادئه التى انتصر بها وساد العالم! لقد قرر الإسلام للمرأة حقوقًا لم تكون نعرفها من قبل.. فردّ لها حقها المسلوب فى الحياة، وجعل لها حقًّا مشروعًا فى الميراث.

وحقق لها الاستقلال الاقتصاديّ فيما تملك. وجعل للزواج أحكامًا

ووضع للطلاق وتعدد الزوجات شروطا وقيودًا، وقرر للزوجين من الحقوق والواجبات ما تستقيم به الحياة الزوجيّة، وتقوى به الروابط والعلاقات الأسرية.

وأعطى الإسلام المرأة الحق فى طلب العلم، وعله فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وجعلها شريكة للرجل فى ميدان القتال، وأوجب عليها الخروج للدفاع عن الوطن بغير إذن من زوجها إذا هجم العدوّ واعتدى على حرمة البلاد.

واحترم الإسلام رأى المرأة، واستمع إليه، وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام.

ولما كانت المرأة قد حصلت على كثير من الحقوق، فقد حمّلها الإسلام من المسؤوليات ما يتناسب مع ما حصلت عليه من حقوق.

فجعلها مسؤولة عن نفسها..

وعن عبادتها..

وعن أسرتها.. فهى فى بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها.

ومن هنا راحت تشارك فى صنع الحياة، وتؤدى رسالتها على الوجه الأكمل، كما نرى فى هذه النماذج التى وقع الاختيار عليها من كتب المغازى والسير لتمثل شتى جوانب القدوة.

إنهم اليوم يشوهون صورة المرأة المسلمة ليطعنوا الإسلام من خلالها، وما أكثر أعداء الإسلام الذين يتربصون به الدوائر، وكَمْ أرجو أني يقود هذا الكتاب خطانا على الطريق الإيمان، وأن يبدد الضباب الكثيف الذى حال دون الرؤية السليمة، وأن يضع الأقدام على درب الإيمان، فمن سار على الدرب وصل.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

محمد إبراهيم سليم

نماذج القدوة الحسنة والأسوة الطيبة

1 ـ أحناه على ولد: (ستة نماذج)

2 ـ أرعاد على زوج: (ستة نماذج)

3 ـ نبات مثاليات: (ستة نماذج)

4 ـ أخوات مسلمات: (ستة نماذج)

5 ـ مبايعات صادقات: (ستة نماذج)

6 ـ مهاجرات مضحيات: (ستة نماذج)

7 ـ مجاهدات فدائيات: (ستة نماذج)

8 ـ مداويات آسيات: (ستة نماذج)

9 ـ راويات للحديث عالمات: (ستة نماذج)

أولا:

المرأة المسلمة أما وحاضنة ومرضعا

- أم هـــــانـــــئ.
- لبابة بنت الحارث الهلالية.
- أروى بنت عبد المطلب.
- أم أيمن بركه بنت محصن.
- حليمة السعدية.
- الشيماء بنت الحارث السعدية.

أحناه على ولد

أمومة مثالية

تتجلى أمومة المرأة المسلمة فى أنبل الصور، وشتى المواقف.

إنها فيض غامر من الأمومة نسبغها على الجميع.

فإذا هى الحُبُّ كله، والعطف كله.. وإذا هى حنان وإيثار.. وإذا هى ب1ل وتضحية.. وإذا هى صبر وفداء.

وكما تتجلى أمومتها فى السلم، تتجلى فى ميدان الحرب والقتال فإذا هى «أم المجاهدين».

وإذا هى ترعاهم وتسهر عليهم كما تسهر على بنيها، وتعبر إحداهن عن الأمومة بقولها فى الحديث الذى رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأخرجه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد:

«يا رسول الله، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاءً، وثديى له سقاءً، وحِجْرى له حواءً..».

هذه هى الأمومة الحَقَّةُ وإليك نماذجَ للأمهات الفضلياتِ.. والحاضنات والشفيقاتِ.. والمرضعاتِ الحانياتِ.

1ـ أم هانئ

فاختة بنت أبى طالب بن عبد المطلب، إن سألت عنها فهى ابنة عم رسول الله ﷺ ، أمها: فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهى إحدى ذوات الرأى والأدب الجمّ من قريش!

خطبها رسول الله ﷺ فى الجاهلية، وكان أبوها قد وعد بها «هبيرة بن أبى وهب» فظفر بها.

وفى مستهل الإسلام أسلمت «أم هانئ» ولم يُسلم زوجها، فقرّق بينهما بحكم الإسلام! وراحت تقوم على رعاية أبنائها الأربعة الصغار!

وخطبها رسول الله ﷺ ثانية فقالت: يا رسول الله، لأْنت أحبّ إلىّ من سمعى ومن بصرى وحقّ الزوج عظيم؛ فأخشى إن أقبلت على زوجى أن أضيّع بعض شأنى وولدى! وإن أقبلت على ولدى أنِ اضيع حق زوجى! فقال رسول الله ﷺ : «**إن خير نَسِاءٍ ركبن الإبلَ نساءُ قريش: أحناه على ولدٍ فى صِغرِه، وارعاه على بَعْل فى ذاتِ يده**»[1].

وكان لأم هانئ شخصيتها القوية، فلقد كانت المرأة العربية في عهد الإسلام – كما كانت فى الجاهلية – تُجير الخائف وتؤمّن المروّع؛ فقد أجارت أم هانئ بنت أَبى طالب رجلين من أحمائها كِتبَ عليهما القتل، وها هى ذى تحدثنا عن ذلك..

قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكةَ فر إلىّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم، فدخل علىّ «علىّ بن أبى طالب» أخى، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتى، ثم جئت رسول الله ﷺ فقال: «**مَرْحبًا وأهلاً يا أم هانئ! ما جاء بك؟!**» فأخبرته خبر الرجلين وخبر على؛ فقال: «**قد أَجَرْنا من أجَرْت يا أمَّ هانئ، وأمَنا من أَمَنْت؛ فلا يقتلهما**»[2] وقد روَى اصحاب الصحَاح الستة جميعا عن «أم هانئ» وعاشت حتى جاوزت عهد أخيها علىّ رضى الله عنه؟

أرأيت أيتها المسلمة كيف رفع الإسلام مكانة المرأة، وأعلى منزلتها، وحررها من القيود والعادات التى كانت شائعة فى الجاهلية، وقرر لها حقوقا لم تكن تعرفها من قبل.

(1) ذكره ابن الأثير فى النهاية نقلا عن الهروى. وعلق عليه بقوله: ووحّد الضمير وأمثاله ذهابا إلى المعنى تقديره: أحبى من وجد، أو خلق، أو من هناك ومثله قوله: أحسن الناس وجها، وأحسنه خلقا وهو كثير فى العربية، ومن أفصح الكلام.

(2) سيرة ابن هشام ج2 ص 820 والبخارى ج 8 ص 37.

ومما يدل على منزلة المرأة فى الإسلام وإكرامها والمحافظة على شعورها أن الرسولَ ﷺ حافظ على عهدها، ووفى بما وعدت به بهذا القول الحكيم: «**قد أجَرْنا من أجَرْت يا أمَّ هانئ**».

عود على بدء!!:

وهل هناك ما هو أدلُّ على احترام رأى المرأة من حديث أم هانئ بنت ابى طالب، وقد خطبها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من سمعى ومن بصرى، وإنى امرأة مُؤْتمَة، وبنىَّ صغَار، وحق الزوج عظيم. فأخشى إن أقبلت على زوجى أن أضيع بعض شأنى وولدى، وإن أقبلت على ولدى أن أضيع حق زوجى!

فقال رسول الله ﷺ : «**إن خيرَ نساءٍ ركبن الإبلَ نساءُ قريشٍ، أحناه على ولدٍ فى صَغَره، وأرعاه على بعل في ذات يده، ولو علمتَ أن مريم ابنةَ عمرانَ ركبتْ الإبلَ ما فضلت عليها أحدًا**»[1].

تلك امرأة أبدت صفحة العُذر عن بلوغ أقدس منزلة تبلغها المرأة المسلمة، وهى منزلة أمومة المؤمنين، فأكر الرسول ﷺ رأيها إكبارًا، فقلد قريشًا بأسرها تلك الشهادة العالية الكريمة!

وهل هناك أحنى على ولد من تلك التى ضحت بأ تكون أمًا للمؤمنين من أجل رعاية أولادها؟!

إننى أهدى قصها إلى كل أم تضحى من أجل أولادها!

(1) كتاب الطبقات الكبرى ج 7 ص 32، والإصابة ج 8 ص 287.

2ـ لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية

أم عبد الله بن عباس

تشير كتب التراجم إلى أن هناك «لبابتين» كلتيهما تحمل هذا الاسم كاملا.

ومن عجب أنهما أختان: كُبْرى.. وصُغرى.

أما الكبرى: فقد قدمت لنا «عبد الله بن عباس» حَبْر الأمة.

أما الصغرى: فهى أم خالد بن الوليد سيف الله المسلول. وتلقب العصماء، وفى إسلامها وصحبتها نَظَرٌ، كما قال أبو عمر فى الاستيعاب، وأقره ابن كثير. إن لبابة الكبرى مشهورة بكنيتها، ومعروفة باسمها، فهى «أم الفضل» زوج العباس بن عبد المطلب والدة أولادة: الفضل وعبد الله وغير هما.

من فواضل نساء عصرها، قديمة الإسلام، فكان ابنها عبد الله يقول: «**كنتُ وأمى من المستضعيفن مِنَ النساءِ والولدان**»[1] [أخرجه البخارى].

أسلمتَ بمكة بعد خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - وكان لها منزلة بين نساء المسلمين.

وكان يقال لوالدة «أم الفضل»: أكرم الناس أصهارا: ميمونة زوج النبى ﷺ. فتزوج العباس أختها شقيقتها لبابة، وتزوج حمزة أختها سلمى، وتزوج جعفر بن أبى طالب شقيقتها أسماء، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصّديق، ثم تزوجها بعده علىَّ.

قال أبو عمر فى الاستيعاب: كانت من المنجبات[2]، وكان النبى ﷺ يزورها، وكانت أم الفضل من عِلْية القوم.

وفى الصحيح «أن الناس شَكُّوا فى صيام النبى ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه «أم الفضل» بقدح لبن فشرب وهو بالموقف، فعرفوا أنه لم يكن صائمًا.

روت عن النبى ﷺ ثلاثين حديثًا.

أخرج لها منها فى الصحيحين ثلاثة أحاديث:

أحدها متفق عليه. والثانى للبخارى. والثالث لمسلم. وروى عنها ابنها عبد الله بن عباس.

---

(1) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: 75]. أى من كان بمكة من لمؤمنين تحت إذلال الكفار.

(2) فهى أم أولاد العباس الستة النجباء.

ومما يذكر أنها كانت تأمل فى بدء حياتها أن يصبح ابنها شيئًا مذكورًا، فقد كانت ترقصه وهى تقول:

ثكلت نفسى وثكلت بكرى إن لم يَسُدْ فِهْرًا وغيرَ فهر

وقد ساد الجميع بعلمه، فقد أصبح حَبْر الأمة وعالمها. أرأيت كيف كانت حانية على ولدها؟!

لقد توفيت قبل زوجها العباس بن عبد المطلب فى خلافة عثمان بن عفان.

3ـ أروى بنت عبد المطلب

عمة رسول الله ﷺ أخت صفية

أسلمت أروى بنت عبد المطلب بمكة.. وهاجرت إلى المدينة.

وكانت قبلِ إسلامها تعضّد النبى ﷺ ؛ فذكروا أن ابنها «كُليب بن عُمير» أسلم فى دار «الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى». ثم خرج فدخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال: «تَبِعْتَ محمدًا وأسلمت لله»!

فقالت له أمه: إنّ أحقَّ من وآزرت وعضَّدت ابن خالك! والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه ودافعنا عنه.

فقال كُليب: فما يمنعك يا أمى من أن تُسلمى وتَتّبعيه فقد أسلم أخوك حمزة؟

فقالت: أَنْظُر ما يصنع أخواتى، ثم أكون إحداهن.

فقال كليب: فإنى أسألك بالله إلا أتيتيه فسلّمت عليه، وصدّقتيه، وشهدتِ أن: «**لا إله إلا الله وأنَ محمدا رسول الله**»[1].

ثم كانت تعضد النبى ﷺ بلسانها وتَحُضُّ ابنها على نصرته والقيام بأمره.

وعَرَضَ أبو جهل وعدَّة من كفار مكة للنبى ﷺ فآذوه، فعمد «كليبَ بن عمير» إلى أبى جهل فضربه ضربة شجّه فأخذوه وأوثقوه، فقام دونه أبو لهب حتى خلاّه!

فقيل لأروى: ألا تَرْين ابنك «كليبًا» قد صيّر نفسه غرضًا دون محمد؟

فقالت: خير أيامه يوم يدفع عن ابن خالِه وقد جاء بالحق من عند الله. فقالوا: ولقد تَبِعْتِ محمدًا؟ فقالت: نعم.

(1) ذكرها أبو جعفر فى الصحابة. وأما ابن إسحاق ومن وافقه فقد قالوا: لم يسلم عن عمات النبى ﷺ غير صفية. وقال غير هؤلاء: أسلم من عمات النبى صفية وأروى وهو الصواب. وترجم لها الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء.

فخرج بعضهم إلى أبى لهب فأخبره، فأقبل حتى دخل عليها فقال: عجبا لك ولاتباعك محمدًا وتَرْكِكِ دينَ عبد المطلب! فقالت: قد كان ذلك، فقم دَوَن ابن أخيك واعضده وامتعه، فإن يظهر أمره، فأنت بالخيار: أن تدخل معه أو تكون على دينك، فإن يُصَبْ كنت قد أعذرت فى ابن أخيك.

وقالت أروى:

إن كُـلَـيـبـا نَـصَـرَ ابـنَ خـالِـه وَاسـاَه فـى ذى ذِمَـةٍ ومـالـه

أرأيت كيف وقفت دون رأى ابنها تشجعه وتؤازره؟!

وقد رثت أروى أباها عبد المطلب فقالت:

بـكـت عـيـنـى وحـقّ لـهـا الـبـكـاءُ عـلـى سـمـحٍ سَـجـتِـيَّـتُـه الـحَـيـاءُ

وقالت ترثى رسول الله ﷺ :

ألا يـارسـول الله كُـنْـتَ رَجَـاءَنَـا وكـنـتَ بـنـا بَـرا ولـم تَـكُ جافيًا

وتوفيت نحو سنة 15 هـ.

4ـ أم أيمن

حاضنة رسول الله ﷺ

قد يجد اليتيم فى غير أمه من تعوضه بحنانها ورعايتها عن حنان أمه كما فعلت «أم أيمن»... وإليك قصتها من البداية إلى النهاية...

لقد كان أهل مكة يعيشون أفراح النصر على أصحاب الفيل.. بينما كانت «آمنة بنت وهب» تؤثر العزلة، وترغب فى الخلوة إلى نفسها..

كانت تريد أن تسعد بهذا الجنين الذى تُحِسُّه فى أحشائها، ولكنها لا تلبث أن تذكر زوجها، وأنه قد حرم السعادة بهذه النعمة.

لكنّ النورَ الذى رأته ملأ جوانحها بالإشراق والصفاء والسعادة، وأنساها ما ألمّ بها!

وعطف الله على هذا اليتيم قلوبا مُلئت حُبًّا وفاضت حبانًا ورحمة.

إن هذه الأَمَة الحبشية وقد ورثها اليتيم عن أبيه الفقيد لا تكاد ترى هذا الوليد حتى يُلْقى الله حبه فى قلبها، وحتى يعطفها عليه، وحتى يجعله لها قُرَّة عين.. فراحت تحضن الطفل وتحنو عليه، وتؤثره بمزيد من المحبة والبر، ومن المودة والعطف ومن الحنان والرفق بكل هذه

الكنوز التى تحتويها قلوب الأمهات حتى تفد مرضعته مع المراضع إلى مكة فتنتزعه منها ومن أمه انتزاعًا، وترحل به إلى البادية.

وتصبر على ذاك الرحيل وهذا الفراق.. وهى الصابرة المحتملة.

ثم يعود الصبى الناشىء من البادية إلى مكة إلى أمه وإلى حاضنته لينعم بعطفهما عيه، ورعايتهما له.

وترحل أم الطفل به إلى يثرب لتُزِيرَه أخواله من بنى النجار، فترحل الحاضنة معهماَ، وينعم الطفل بحنان هذين القلبين الكريمين.

حتى إذا قضى الطفل وأمه وطرًا من زيارة الأرض الموعودة، عاد بين أمّيْه الكريمتين إلى موطنه بمكة.. ولكن ما يكاد الطفل يبعد عن يثرب حتى تلم العلّة بأمه كما ألمت بأبيه قبل أن يصل إلى الدنيا، ولا يكاد الطفل ينتهى إلى «الأبواء» حتى ينزع الموت منه أمه، كما نزع منه أباه.

وأصبح الطفل كما أراد الله لم يتيما قد فقد الأم والأب.. وعندئذ خلص لحاضنته من دون الناس، وتعود به إلى جده، وأعمامه وحيدًا فريدًا يرعاه قلبها الكريم.

من ذلك الوقت أصبحت للطفل أما، رعته صبيًا وشابًا حتى إذا بلغ سن الرجال واتخذ له أسرة، نظر إليها فأعتقها، ورد لها حقها الكامل فى الحياة الكريمة.

هنالك اتخذت لها زوجا من أهل يثرب كان مقيما بمكة فعاشت معه ماشاء الله أن تعيش، ورحلت معه إلى يثرب حتى إذا مات عادت إلى ابنها الأول، ومعها ابنها الثانى «أيمن بن عبيد» فعاشت فى كنف هذا اليتيم، وعاش معها ابنها سعيدين ناعمين.

ويُتم الله نعمته على هذا اليتيم فلا يشغله شىء عن أمه هذه، ويعبر ﷺ عن مشاعره تجاهها فيقول كلمة ملؤها البر والحنان والوفاء: «**إنها بقية أهل بيتى!**»[1].

وإنه ﷺ ليحرص على أن تحيا وتنعم بالحياة فيقول لأصحابه: «**من سرة أن يتزوج امرأة مَن أهْل الجنة فَلْيَتَزَوَّجْ أمَّ أيمنَ**»[2]. هنالك أسرع مولاه زيد فاتخذها له زوجًا.

(1) عن الواقدى. كما فى الإصابة.

(2) سير أعلام النبلاء (ج 2 ص 159 – 161).

وتهاجر من مكة إلى المدينة لتلحق بأَحَبِّ الناس إليها لا يؤنسها فى الطريق إلا إيمانها.. وتبلغ المدينة فيلقاها ابنها حفيًّا بها عطوفًا عليها، وتقضى معه أيامها فى المدينةَ لا تكاد تفارقه.. نراها يوم «أُحُد» تشهد الحرب مع المسلمين.. تطوف بالماء.. تسقى الجرحى ومن مسهم الجهد.

وتشهد خيبر مع ابنها تواسى المسلمين ونمنحهم من عطفها ورعايتها ورحمتها.

ويقبل عليها النبىُّ ﷺ فى السلم يمازحها ولكنه لم يكن يقول إلا حقا.. وعندما تصعد نفسه الكريمة إلى بارئها تبكى على الوحى الذى سينقطع بموته.

وتعيش لتشهد بموت عمر، فتقول قولتها: «**الآن وَهَى الإسلامُ**». وفى مستهل خلافة عثمان تلقى ربها راضيه مرضية.

وبعد.. فهذه أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته تلك التى ورثها من أبيه[1] فأعتقها ﷺ عندما تزوج خديجة بنت خويلد.

وتزوجها عبيد بن زيد فولدت له «أيمن». صحب النبى ﷺ وقتل يوم حنين، وكان زيد بن حارثة مولى خديجة بنت خويلد فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه وزوجه أم ايمن بعد النبوة فولدت له اسامة بن زيد، لقد هاجرت الهجرتين، وروت عن النبى ﷺ خمسة أحاديث[2].

5ـ حليمة السعدية
مرضعة سيد البشر

كل الذين يستعيدون أحداث السيرة النبوية يذكرون «حليمة السعدية»!! فلقد كانت على جانب عظيم من حسن الطبع وجمال الخلق، ورقة القلب..

ولأمْر مَّا اختارها الله لتكون مرضعة لسيد البشر!

لم تجد «حليمة» وقد جاءت مع نساء بنى سعد غير يتيم عبد المطلب لترضعه!

إنها من بنى أسد بن بكر هوازن وتنتهى لقيس عيلان، ولو لم تكن ذات شرف وخلق قويم وقلب رقيق لما أرضع عبد المطلب حفيديه: محمدًا وأبا سفيان منها. بقى محمد عندها أربع

(1) مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله النجدى ص 12، تلقيح فهوم أهل الأثر ص 4 صحيح مسلم 2/ 96.
(2) يمكن الرجوع إلى ترجمة حياتها بطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبرى، وصحيح البخارى، والإصابة لابن حجر.

سنوات ربته على الأخلاق العربية.. على المروءة والشهامة والصدق والأمانة، ثم ردّته إلى أهله وعمره خمس سنوات وشهر واحد بعد أن غمرتها بركاتُ هذا اليتيم!!

وقد أحب النبى ﷺ مرضعته حبًا كثيرًا حتى أنه لما أخبرته بعد فتح مكة إحدى نساء بنى سعد بوفاتها، ذرفت عيناه عليها!

ثِم قالت له الناعية: أخواك وأختاك محتاجون! فأرسَلَ إليهم ما يحتاجون إليه!

فقالت له الناعية: نعْم المكفول كنت صغيرا، ونِعْم المرء كنتَ كبيرًا عَظيم البركة!

لا شك أن الرسول ﷺ عادت به الذكريات إلى ايامه الأولى فتذكر طفولته، وحنُوَ مُرْضعته عليه، وأُلْفَته مع إخوته وأخواته.

لقد كانت حليمة السعدية من حوله فى طفولته، ولا شك أنها تركت فى نفسه أثرا عميقًا، وحين ورد ذكرها على قلبه الحساس ذرفت عيناه ﷺ الدموع عليها.

فإلى كل من ترعى يتيما بلمسة حانية، أو كلمة للنفس شافية، أو بسمة للروح مداوية، أُهْدى قصة حليمة السعدية وما كافأها الله به من رزق وخَير وأجر عظيم!

وإلى كل الأبناء من الرضاعة نقدم الحديث الذى أخرجه أبو داود وأبو يَعْلَى وغيرهما، من طريق عمارة بن ثوبان عن أبى الطفيل – أن النبى ﷺ كان بالجعرانة يُقَسِّم لَمًّا، فأقبلت امرأة بدويةٌ، فلما دَنَتْ من النبىِّ ﷺ بَسَطَ لها ردَاءه، فجلستْ عليه، فقلتُ مَنْ هذه؟ قالوا: هذه أَمَّه التى أرضعته[1].

6ـ الشيماء بنت الحارث السعدية

من منا لا يذكر «الشيماء السعدية» حاضنة رسولنا ﷺ حين يسمع ذلك الاسم الجميل: «حليمة السعدية»؟!!

إن محمدًا ﷺ كان وحيد أبويه، فليس له أخ أو أخت من النسب.

لكن كان له إخوة من الرضاعة.. فمن هو يا ترى؟ ذكر ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير وغيره عنه، أن إخوة النبى ﷺ من الرضاعة: عبد الله وأنيسة، وحذيفة بنو الحارث، وحذافة هى: الشيماء غلب عليها ذلك.

(1) الإصابة ج 7 ص 585.

قال: وذكروا أن الشيماء كانت تَحْضُن الرسول ﷺ مع أمها، ومن أجل هذا نرى الكثيرين يسمون بناتهم «الشيماء» تكريما للدور الذى قامت به من رعاية النبى ﷺ فى طفولته.

لقد كانت ترقّص النبى ﷺ وهو صغير قائلة:

يـــــاربَ أَبْـــــقِ لـنـا مـحـمـدًا حـتـى أراه يـافـعًـا وأمـــــرادَا

ثُـــمَ أراه ســـيّـــدًا مُـــسَـــوّدا واكْـتـب أعـاديـة مـعًـا والـحُـسَّـدَا

وأَعْـــطـــه عـــزًا يـــدوم أبـــدًا[1]

قال: فكان أبو عروة الأزدى إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها!!

ويقول ابن سعد: كانت الشيماء تحضُن النبى ﷺ وتُوَرّكه[2]؟

وقال أبو عمر: أغارت خيلُ رسولِ الله على هوازن، فأخذوها فيما أخذوا من السبى؛ فقالت لهم: أنا أخت صاحبكم، فلما قدموا بها قالت: يا محمد، أنا أختُك، وعرّفته بعلامة عرفها، فرحّب بها، وبسط رداءه، فأجلسها عليه، ودمعت عيناه، فقال لها: إن أحببت أن ترجعى إلى قومك أوصلتك. وإن أحببت فأقيمى مكرمة محبّبة، فقالت: بل أرجع، فأسلمت، وأعطاها رسول الله ﷺ نَعَمًا وشاءً، وثلاثة أعبد وجارية.

إن كل الذين قاموا بدور فى حياة رسولنا ﷺ سواء فى صغَره، أم بعد رسالته، وأيدوه وساندوه، ووقفوا إلى جَانبهَ، وكانوا حولهن لهم منا - نحن المسلمين - كل التقدير على ما قاموا به، وما اسدوه.

بقيت لمسة الوفاء التى تجلت فى إكرام الرسول ﷺ لها عندما عرفها!

ألا ليتنا نذكر الفضل لأهل الفضل، فلا يعرف الفضل لأ هل الفضل إلا ذوو الفضل!!

كم منا يذكر مرضعته؟!

وكم منا يذكر حاضنته؟!

ألم يجعل الرسول الجنة تحت أقدام الأمهات؟!

(1) الإصابة. كما ذكر محمد بن المعلى الازدى فى كتاب الترقيص.

(2) توركه: تجسه على وركها.

ثانيا:

المرأةُ المُسلمَة زوْجة

- خديجة أم المؤمنين.
- سودة بنت زمعة.
- زينب بنت محمد ﷺ .
- رقية بنت محمد ﷺ .
- أم حكيم زوجة عكرمة بن أبى جهل.
- خولة بنت مالك بن ثعلبة.

أرعاه على زوج فى ذات يده

خير ما يكنز الرجل

يقول الرسول ﷺ لعمر: «**ألا أخبرك بخير ما يكنز؟! المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرَته.. وغن امرها أطاعته.. وإن غاب عنها خفظته..**» [أخرجه أبو داود]

وما تزال صورة الزوجة المسلمة راسخة فى وجداننا وضميرنا.. تلك الصور المثالية لسلوك المرأة العربية التى تتجلى رعايتها للأسرة فى تحمل المسؤولية فهى فى بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها.. إن علاقتها بزوجها قوامها الحب المتبادل، والعطف والحنان، والإيثار، والبذل، والتضحية، والفداء!

ويكفى فى الإقرار بفضلها أن أول قلب خفق بإسلام وتألق بنوره قلب امرأة فاضلة نبيلة.. هي خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ وليس بعد ذلك من تشريف للمرأة فى الإسلام ورفع لقدرها، فتعال نتابع مسيرتها فى الوقوف إلى جانب الدعوة الوليدة.

1ـ خديجة بنت خويلد

لئن لقى النبى ﷺ من رجال قريش ما لقى من صدّ وإيذاء فقد وقفت إلى جانبه امرأتان.. وقفتا من وراء الدعوة الإسلامية تؤيدانها وتسهران على خدمة رائدها ﷺ : خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت اسد واستحقت «خديجة» بهذا أن تكون خير نساء العالمين.

وكيف لا تكون كذلك وهى أم المؤمنين، خير الزوجات والأسوة الحسنة للمقتدين.

هيأت للنبى ﷺ بيتًا هانئا قبل بعثته.. وأعانته على التأمل فى غار حراء.. وكانت أولَ من يمن به عندما دعا إلى ربه.. وكانت خير من واساه بالنفس والمال الأهل.. سيرتها عطرة.. وحياتها بالبر عامرة، ونفسها بالخير زاخرة.

يقول رسولنا ﷺ : «**آمنت بى إذ كفرَ الناسُ، وصدَّقتنى وكذَّبنى الناسُ، وواستنى بمالها إذْ حرمنى الناسُ**»[1].

فما بالنا نبحث عن القدوة هنا وهناك وأمامنا «خير نساء العالمين» خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين الزوجة الوفية المطيعة التى أحسنت عشْرة زوجها، وأعانته على خلوته قبل البعثة وثبتته وصدَّقته، وسبقت الناس إلى الإيمان برسالته، وواسته وواست المسلمين بنفسها ومالها وآلِها فجزاها اللّه عن دينه ونبيه خير الجزاء، ولقَّاها نَضْرَة ونعيما فى «قصرها» الذى بشرها ب النبى فى حياتها! عندما أتى جبريل النبىَّ ﷺ فقال: «**يا رسولَ الله، هذه خديجةُ**[2] قد أتت معها إناءٌ فيه إدمٌ وطعامٌ أو شرابٌ، فإذا هى أتَتْك فاقرأ عليها السلامَ من ربها ومنِّى، وبشِّرها ببيت فى الجنة من قَصَبٍ لا ضَخَبَ فيه ولا نَصَبَ»[3].

أليس هذا القصر خيرا من قصور الدنيا يا من غرتكم الدنيا؟! أليست هذه البشرى خيرا من الدنيا وما فيها؟!!

إن السيدة خديجة – رضى اللّه عنها – كانت أول من انضم إلى الركب المؤمن، وأول من آمن باللّه فى الأرض بعد النبى ﷺ .

(1) الاستيعاب لابن عبد البر.

(2) روى الحديث البخارى فى فضائل اصحاب النبى ﷺ . ويقول الإمام الذهبى: متفق على صحته.

(3) قصب: انابيب من جوهر. صخب؛ ضجيج. نصيب: تعب.

وحملت اللواء مع الرسول ﷺ من اللحظة الأولى، تجاهد وتكابد، تفقد ثروتها وتعادى قوما، وتقف من وراء زوجها ونبيها حتى الرمق الأخير.

وحق لها أن تكون المثل الأعلى للنساء المؤمنات.

وكيف لا وقد كانت للنبى ﷺ منذ أول ساعات النبوة أول مؤيد! لقد نزل عليه الروح الأمين أول ما نزل فى غار فى الجبل فأقرأه ماشاء اللّه أن يقرئه من آى الكتاب الكريم، ثم أخذ يتراءى له فى طريقه بين السماء والأرض، فلا يلتفت يمنة ولا يسرة إلا ويراه، فيقف لا يتقدم ولا يتأخر.

كل ذلك ورسول اللّه ﷺ بين شعاب الجبل، وفى وحشة الطريق، فلا أنيس ولا سَمَير ولا معين ولا نَصير!

لم يزل النبى ﷺ فى موقفه هذا حتى انصرف المَلَكُ عنه، فانصرف هو إلى خديجة فزعًا مرعوبًا بما سمع ورأى، فلما بصرت به قالت: أين كنت يا أبا القاسم؟ فواللّه لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة، ثم رجعوا إلىّ، فحدثها رسول اللّه ﷺ حديثه، فقالت: أبشر يا بن عمّ واثبت فو الذى نفسى بيده، إنى لأرجو ان تكون نبى هذه الأمة!

لم ير منها إلا تثبيتا لقلبه، وترويحا عن نفسه، وتأييدا لأمره. لم ير منها شيئا يحزنه، من ردَّ عليه، أو تكذيب له، أو سخرية منه، أو نفور منه.. بل إنها فرّجت صدره، وأذهبت حزنه، وأثلجت قلبه، وهوَّنت الأمر عليه، وهكذا تكون الزوجة المثالية!

تلك هى خديجة التى بعث اللّه إليها تحيته، فنزل بها جبريل على رسول اللّه ﷺ فقال له: «**أَقْرئ خديجة السلام من ربها**»، فقال رسول اللّه ﷺ : «**يا خديجةُ، هذا جبريلُ يُقْرئكِ السلامَ من ربِّكِ**»[1]، فقالت: للّه السلام، ومنه السلام، وعلى جبريَل السلام.

وإنها لمنزلة ما ظفر بها أحد من السابقين الأولين والخلفاء الراشدين، وذلك لأن موقفها فى اللحظة الأولى أعظم وأجل من جميع مواقف التأييد للدعوة فيما بعد!

إن خديجة –رضى الله عنها– كانت من نعم اللّه الجليلة على رسول اللّه ﷺ .

(1) قال ابن عبد البر: روى من وجوه: أن النبى ﷺ قال «ياخديجة، جبريل يقرئك السلام» وفى بعضها: يا محمد، اقرأ على خديجة من ربها السلام.

بقيت معه ربع قرن تحسن إليه، قلقة، تؤازره فى احرج اوقاته، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركه فى مغارم الجهاد المر، وتواسيه بنفسها ومالها.

يقول رسول اللّه ﷺ : «**آمنتْ بى حينَ كَفَرَ بى الناسُ وصدّقتنى حين كذبنى الناسُ، واشركتنى فى مالها حين حَرَمَنِى الناسُ، ورزقنى اللّهُ ولدَها، وحرمَ ولدَ غيرِها**»[1].

وفى الصحيح عن أبى هريرة قالك «أتى جبريلُ النبىَّ ﷺ فقال: «يا رسولَ اللّه، هذه خديجة قد أتتْ معها إناءٌ فيه إدامٌ، أو طعامٌ، أو شرابٌ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلامَ من رَبها، وبَشِّرْها ببيت فى الجنةِ من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ»[2].

2ـ سودة بنت زمعة

أما المؤمنين

هى أول من تزوج بها النبى ﷺ بعد خديجة، وانفردت به نحوا من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة[3].

كان الصحابة رضى اللّه عنهم يرقبون وِحْده النبى ﷺ بعد خديجة ويودون لو يتزوج لعل فىَ الزواج ما يؤنس وحدته! لكن من يفاتحه؟

وتتقدم «خولة بنت حكيم» لتقوم بالمهمة فتفاتح الرسول ﷺ وتعرض عليه «عائشة بنت الصديق» لكنها ما تزال صغيرة.. فلتتم خطبتها ثم يكون الانتظار حتى تتضج.

لكن من يرعى شئون النبى ﷺ ، ومن يخدم بناته ومن يملأ عليه البيت؟ إن «عائشة» لن يتم الزواج بها قبل سنتين أو ثلاث، فمن تكون يا ترى تلك التى تتولى شئون النبى ﷺ ورعاية بناته؟ إنها «سودة بنت زمعة» من بنى عدى ابن النجار.

وأذن لها الرسول ﷺ فى خطبتها، فمرت أولا ببيت أبى بكر، ثم جاءت بيت زمعة، فدخلت على ابنته سودة تقول:

– ماذا اللّه عليك من الخير والبركة يا سودة؟

فسألت سودة وهى لا تدرى مرادها:

(1) رواه الإمام أحمد فى مسنده 6/ 118.
(2) صحيح البخارى. باب تزويج النبى ﷺ خديجة وفضلها 1/ 539.
(3) الإمام الذهبى. سير أعلام النبلاء (ج2 ص 190).

– وماذا يا خولة؟

– أرسلنى رسول الله ﷺ أخطبك عليه!

قالت فى صوت مرتجف:

– وددت! ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك[1].

وكانت الموافقة.. وتم الزواج.

لقد كان لسودة ظروفها التى جعلت الرسول ﷺ يمد يده الرحيمة إليها يسند شيخوجتها، ويهون عليها الذى ذاقت من قسوة الحياة!!

فقد هاجرت إلى الحبشة فرارا بدينها مع زوجها ابن عمها، ثم مات عنها مهاجرًا فى الغربة. وترك أرملته من بعده قد أسلمتها محنة الاغتراب إلى محنة الترمّل قبل أن تهبط «أم القرى».

لقد تأثر الرسول ﷺ للمهاجرة المؤمنة المترملة، فكانت موافقته على الزواج منها.

وتظل سودة راعية فى بيت زوجها رسول اللّه ﷺ حتى تفد عائشة رضى اللّه عنها على البيت النبوى، وتعلم مكانة عائشة من قلب النبى فتجعل يومها لعائشة وتفسح لها المكان الأول فى البيت.

وتحرص جهدها على أن تتحرى مرضاة العروس الشابة وأن تسهر على راحتها وكل أملها بعد أن أحست برودة الشيخوخة، أن تبقى زوجة لرسول اللّه ﷺ فى الدنيا والآخرة، وألا تحرم من هذا الشرف العظيم.. حتى ولو وهبت يومها لعائشة بعد أن أحست أنها لا تريد ما يريد النساء!

وعاشت «سودة» ساهرة على رعاية البيت النبوى وقلبها عامر بالرضا والإيمان! حتى لحق ﷺ بربه، وتوفيت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

وقد ظلت عائشة – رضى اللّه عنها – تذكر لها صنيعها، وتؤثرها بجميل الوفاء فتقول: «**ما من الناس أحدٌ أحبُّ إلىّ من أن أكون فى مِسْلاخِه مَنَ سَوْدةَ بنتِ زَمْعة إلا بها حِدَّة**»[2].

(1) الحوار موجود بنصه فى تاريخ الطبرى: 3/ 176 وقصة زواجها فى السمط الثمين 102.

(2) الاستيعاب: 4/ 1867. ومسلاخه ثوبة وجلده..

ولما توفيت سجد ابن عباس فقيل له فى ذلك فقال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا رأيتم آية فاسجدوا**» وأى آية أعظم من ذهاب أزواج النبى ﷺ[1].

روت سودة عن رسول اللّه ﷺ خمسة أحاديث. أخرج لها فى الصحيحين حديث واحد[2] وفى رواية أن البخارى روى لها حديثين[3].

يرحمها اللّه كانت تحب الصدقة، وعلى جانب كبير من الخلق الرفيع. عن عائشة – رضى الله عنها–: «أن بعض أزواج النبى ﷺ قلن: يا رسول اللّه، أينا أسرع لحوقا بك؟ قال: «**أطولكن يدا**» فأخذن قَصَبَةً يذرعنها فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد: أنما كان طول يدها: الصدقة، وكانت تحب الصدقة، وكانت أسرعنا لوحقا به» أخرجه الشيخان والنسائى).

ولمسلم فى أخرى: «**أسرعكن لُحوقا بى أطولكن يَدًا**»، قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا، فكانت أطولنا: زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

3ـ زينب بينت محمد

ابن عبد الله ﷺ

ماتت زينب، ومضى على موتها خمسة عشر قرنا، ولكنها خلفت أطيب الذكرى، وضربت أبلغ المثل فى وفاء الزوجة، وإخلاص المحبّة، وصدق الإيمان!

لقد ولدت «زينب» سنة ثلاثين من مولد النبى ﷺ .. وعندما بلغت سن الزواج طلبتها خالتها «هالة بنت خويلد» أخت أم المؤمنين خديجة – لابنها «أبى العاص بن الربيع». وكانت الموافقة.. وكان الرضا من الجميع!

وزُفَّت زينب بنت محمد ﷺ إلى «أبى العاص بن الربيع»[4]، ومضت «خديجة» إلى الزوجين المتحابّين تبارك لهما، وخلعت «قلادتها» لتجعلها فى عنق زينب هديةّ عَروس!

(1) طبقات ابن سعد. الإصابة لابن حجر. أسد الغابة لابن الأثير.
(2) المجتنى، لابن الجوزى.
(3) الكمال فى معرفة الرجال للمقدس.
(4) ذكر ابن سعد أن أبا العاس تزوج بزينب قبل النبوة. ويقول الإمام الذهبى: وهذا بعيد. ثم يقول: أسلمت زينب وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين.

كان ذلك قبل أن ينزل الوحى على أبيها ﷺ ولما أسرقت الأرض بنور ربها، آمنت زينب فيمن آمن ولكن أيا العاصِ لم يكن من السهل عليه أن يخلع دينه! وأَحسَّ كِلَا الزوجين أن قوة أقوى من حبهما تحاول أن تفرقَ بينهما!

وأما هى فقالت: «**قليلًا يا صاحبى، لستُ حلا لك، وأنت على ذلك الدين، فأسلمْنى إلى أبىَ، أو أَسْلِم معى.. لن تكون زينبُ لكَ بعد اليوم إلا أن تؤمَن بما آمنت!**».

وأطرق الزوجان ساعة يفكران! وأفاقا على هاتف يهتف بهما: لئن فرق الدين بين جسديهما فسوف يظل حبهما! حتى يجمعهما دين!

وتمر الأيام على هذا الوضع بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة، وتسير قريش إلى بدر لحرب الرسول ﷺ ويسير فيهم «أبو العاصِ بن الربيع»، لا ليعلن إسلامه، ولكن ليحارب الرسول ﷺ فى جيش المشركين!

ويتأزّم الموقف حين يقع «أبو العاص» أسيرًا فى يد المسلمين عند الرسول ﷺ بالمدينة!

وتبعث قريش فى فداء أسراها.. وتبعث «زينب» مالًا وقلادة لتفتدى أسيرها «أبا العاص بن الربيع»!!

ويرى الرسول ﷺ «القلادة»، فيرقّ لها رِقةً شديدة ويقول: «**إن رأيتم أن تُطلقوا لها اسيرها، وتردوا عليها الذى لها فافعلوا**» فقالوا: نعم يا رسول اللّه، فأطلقوه، وردوا عليها الذى لها.

وهنا يأخذ الرسول ﷺ وعدًا من أبى العاص بأن يُخلى سبيل زينب ويُعيدَها إليه بالمدينة[1]!

وعاد أبو العاص إلى مكة، وفى نفسه صورة أكثر إشراقًا لهذه الزوجة البَرَة الكريمة، ولكنه عاد،لا ليشكر لها ما منّت به عليه، بل ليقول لها: «عودى إلى أبيك يا زينب»، وفاء بما أخذ عليه رسول اللّه ﷺ من عهد بأن يدعها تسير إليه، وخنقتهِ العَبْرة، فما استطاع أن يَتَمالك نفسه، ولا أن يشيعها إلى أطراف البادية – حيث كان فى انتظارها خارج مكة زيد بن حارثة ورجل من الأنصار! ومن اين له أن يجد فى نفسه القدرة على توديع من يحب، وإنه ليعلم أنه الوداع الأخير، مادام سلطان هذا الدين قائمًا بين القلبين، وكلاهما مستمسك بدينه!

(1) يقول الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء: روى عن عائشة بإسناد وادٍ.

ومُضى يقول لأخيه كنانة بن الربيع: «يا أخى إنك لتعلم موضعَها من نفسى، فما أحب أن لى امرأةً من قريش، وإنك لَتِعلمُ ألا طاقة لى ينتظر رسولا محمد، وارفق بها فى السّفَر، وارْعَها رعاية الحرمات، ولو نثرت عليها كنانتك[1] لا يرنو منها رجل حتى تبلغ!».

وبينما هى تستعدّ لكى تلحق بأبيها لقَيتها هندٌ بنت عتْبة، فقالت: أىْ ابنةَ محمد، ألم يبْلُغْنى أنك تريدين اللحوق بأبيك؟!

فقالت زينب: ما أردت ذلك!

فقالت هند: أى ابنة عمى، لا تفعلى.. إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرِك، أو بمال تبلغين به إلى أبيك، فإن عندى حاجتك، فلا تتحرجى منى؛ فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال!

قال زينب: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، ولكنى خفْتُها، فأنكرْت أن أكون أريدُ ذلك، وتجهزْتَ.

ولما فرغتْ من جهازها قدّم لها حَمُوهَا: كنانُة ابن الربيع أخو زوجها - بعيرًا فركبته، وأخذ قوسه وكنانَتَه، ثم خرج بها نهارًا وهى فى هودج لها يقودُ بعيَرَها.

ولكن هى تتركها قريش - بعد هزيمتها فى بدر - تخرج على مرأى ومسمع من الناس؟!لا.. ثم لا!! فلقد تحدث رجال من قريش بذلك، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طُوَىً!! فكان أول من سبق إليها «هبّار بن الأسود بن المطّلب»، و «نافع ابن عبد القيس»، فروّعَها «هبّار» بالرمح وهى فى هودجها»، وكانت زينب حاملا، فلما رجعت طرحت ما فى بطنها[2]!!

وهنا يتصدى حموها.. أخو زوجها لهؤلاء المعتدين قائلًا: «والله لا يدنو منى رجل إلا وَضَعْتُ فيه سهما».

فانفض الناس عنه، وأتاه أبو سفيان فى جماعة من فريش فقال: أيها الرجل، كفّ عنا نبلك حتى نكلمك. فكف، فأقبل أبو سفيان، حتى اقترب منه وقالك غنك لم تصب.. خرجت بالمرأة على رؤوس الرجال علانية من بين أظهرنا!!

(1) الكنانة: جعبة من الجلد للنبل. والمراد: لا تدخر جهدًا فى حمايتها حتى آخر سهم.
(2) فى الاستيعاب: «فدفعها أحدهما، فسقطت على صخرة وأسقطت وأهرقت الدماء.

إن ذلك عن ذُلَّ أصابنا عن مصيبتنا، ونكبتنا التى كانت .. وإن ذلك ضعف منا ووهن!

لعمرى ما لنا حاجة فى حَبْسها على أبيها.. وما لنا فى ذلك من ثُوْرة، ولكن أرجع المرأة.

ولما هدأ الصوت خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارصة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله ﷺ.

وافترق الزوجان، فلا سبيل إلى لقاء، وأقام «أبو العاص» بمكة شريدًا مبلبل الفكر، جريح القلب!

واقامت «زينب» بالمدينة معتلة بالبدن، واهنة القلب، ولولا الإيمان والتقى يشدان من عزيمتها لأعجلها الموت، ولم تظفر بلقاء!

ومضت سنوات وسنوات، ويخرج أبو العاصِ فى تجارة له إلى الشام، وفى طريق العودة تلقاه سَرّية لرسول الله ﷺ فتصيب ما معه من أموال ولكنه يفلَت من أيديهم..

لقد فقد ماله ومال الناس، ولا سبيل إلا أن يرد الأمانات إلى أهلها.. فماذا يفعل؟!

لقد تذكر «زينب» التى بادلته الحب والوفاء.. فدخل المدينة ليلا، وطلب منه أن تجيره، وتعينه على رد ماله فأجارته، وأصبح الناس يسعون إلى المسجد، وكبر رسول الله ﷺ وكبّر المسلمون إلى المسجد، وكبر رسول اللّه ﷺ وكبّر المسلمون معه، وإذا صوت يهتف مِن وراء جدار: «أيها الناس، إنى قد أجرتُ العاصَ بن الربيع، فهو فى حمايتى وأمنى» وكانت زينب هى التى تهتفُ!

وفرغ النبى ﷺ من صلاته فأقبل على الناس فقال: «**أيها الناسُ هل سمعتم ما سمَعت: إنه يُجيْرُ على المسلمين أدناهم!**» ثم دخل على ابنته، فحدثها وحدثته، وأوصاها قائلا: «**أىْ بنيّة أَكْرمى مشواه، ولا يَخْلُص إليك، فإنك لا تحلين له مادام مشركًا**»[1] وأكبر محمد ﷺ أن يرى فى ابنته هذا الوفاء لزوجها الذى فارقته لأمر الله، وقطعت ما بينه وبينها من شهوات النفس لأمر الله، ثم ما يربحت مع كل ذلك تمنحه البر والوفاء والمعونة: بر المسلمة، ووفاء

(1) ذكر الإمام الذهبى عن يزيد بن رومان. وروى الإمام الذهبى عن محمد بن إبراهيم التيمى، قال: خرج أبو العاص إلى الشام فى عير لقريش، فانتدب لها زيد فى سبعين ومائة راكب؛ فلقوا العير فى سنة ست، فأخذوها، وأسروا أناسًا، منهم أبو العاص، فدخل على زينب سحرًا، فأجارته، ثم سألت أباها، أن يرد عليه متاعه، ففعل، وامرها ألا يقربها ما دام مشركًا. فرجع إلى مكة فأدى إلى كل ذى حق حقه؛ ثم رجع مسلمًا مهاجرًا فى المحرم سنة سبع، فرد عليه زينب بذلك النكاح الأول (سير أعلام النبلاء ج2 ص 176).

الصديقة، ومعونة الإنسان! ونال من نفس النبى ﷺ ما سمع وما علم فَأضمر فى نفسه رجاء إلى الله! ثم بعث ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص، فقال: «**إن هذا الرجلَ منَّا حيث علمته، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسَنوا إليه وتردوا عليه مالَه، فإنا نُحبُّ ذلك! وإن أبيتم فهو فَىء الله الذى أفاء عليكمَ، فأنتم أحقُّ به**».

قالوا: «بل نرده عليه». وقال نفر منهم: «يا أبا العاص، هل لك أن تُسْلم، وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين: فقال الرجل: بئس ما أبدأ به إسلامى أن أخون أمانتى!».

وردوا إليه ماله، كرامة لرسول الله ﷺ وإكبارا لزينب، وعاد الرجل إلى مكة بماله، ومال الناس، ونفسه تفيض بمعان شتى، وبين عينيه صورة لا تفارقه، فلما أدى لكل ذى مالٍ ماله وقف ثم قال: يا معشر قريش، هل بقى لأحدً منكم عندى مال؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرا، قد وجدناك وفيّا كريما.

قال: «فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله. والله ما معنى من الإسلام عنده إلا تَخَوُّفى أن يظنوا أنى إنما أردت أن آكَل أموالكَم، فلما أداها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت».

قال الشعبى: أسلمت زينب وهاجرت، ثم أسلم بعد ذلك، وما فرق بينهما[1].

وخرج أبو العاص من مكة إلى المدينة مهاجرًا يهديه نور الإيمان واليقين، وتلاقى الزوجان المتحابان مرة ثانية بعدَ فراق طويل.

ولكن الزوجة الوفية كانت قد أدت واجبا، وفرغت من دنياها حين هَدَت الرجل الذى أحبته، ووفت له بمقدار ما أحبها، ووفّى لها، فما مضى زمانٌ بعد هذا اللقاء حتى كانت قد استوفت أنفاسها على الأرض!

وتوفيت زينب سنة ثمان للهجرة فحزن عليها رسول الله ﷺ حزنًا عظيمًا، وفارقت الدنيا بعد أن خلفت أطيب الذكرى، وضربت المثل أبلغ المثل فى وفاء الزوجة، وإخلاص المحبّة، وصدق الإيمان، وليس عجيبًا أن يقول فيها زوجها فى بعض أسفاره إلى الشام:

بنتُ الأمينِ جزاها الله صالحةً ... وكلُّ بَعْلٍ سَيُثْنِي بالذى عَلِمَا!!

(1) سير أعلام النبلاء للذهبى. وكذا قال قتادة، وقال: ثم أنزلت «براءة» بعد فإذا اسلمت امرأة قبل زوجها فلا سبيل له عليها إلا بخطبته.

4. رقية بنت رسول الله ﷺ

زوجة عثمان

لقد ضم ركب مهاجرى الحبشة إحدى عشرة امرأة، وهذا يعنى أن المرأة المسلمة كانت جزءًا من الدعوة والجهاد فى سبيل الله.

تَخَلّت عن أعراض حياتها الزئلة من مال وولد وأهل وبلد فى سبيله.

تركت وطنها الغالى ومضت إلى الحبشة حيث الأرض النائية والغربة عن الجنس واللون والقوم فى سبيل العقيدة التى آمنت بها.

وعندما انبثق فجر الدعوة من مكة، كان أول مهاجرين جديدين لَيْسا رَجُلَيْن، ولكنهما رجل وامرأة: هذان المهاجران هما: عثمان بن عفان، ورقية بنت محمد ﷺ . لقد جاءت «رقية» إلى الوجود بعد أختها زينب، ومن بعدهما جاءت «أم كلثوم» التى رافقتها فى حياتها بعد انتقال زينب كبراهن إلى بيت الزوجية. وعندما قاربتا سن الزواج تقدم أبو طالب يخطبهما إلى ابنى أبى لهب ويشاء الله ألا يتم هذا الزواج نظرا لموقف أبى لهب من الإسلام..

ولكنه سبحانه يسوق إليهما عثمان بن عفان فيتزوج رقية.. ويهاجر معها إلى الحبشة وتبقى أم كلثوم مع أبيها وأمها فى انتظار ما قدَّرَ لها!

يقول الإمام الذهبى: هاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعا. قال عليه السلام: «**إنهما لأولُ مَنْ هاجَرَ إلى الله بعد لوط**»[1].

يقول أنس بن مالك –رضى الله عنه–:

خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته – رقية بنت رسول الله ﷺ – إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خيرهما، فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد، قد رأيت خَنَك – أى صهرك– ومعه امرأته» قال: «**على أى حالٍ رأيتهمَا؟**».

قالت: رايته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدابة الضعيفة التى تدب فى المشى – يسوقها.

(1) سير أعلام النيلاء (ج: 2 ص 178).

فقال رسول الله ﷺ : «**صَحبَهُما الله. إن عثمانَ أول من هاجر بأهله بعد لوَط عليه السلاُم**»[1].

وعادت «رقية» مع «عثمان» إلى مكة ثانية لتجد أمها قد لحقت بالرفيق الأعلى!

وتحول المسلمون جميعا من مكة إلى المدينة فصحبتهم رقية مع زوجها عثمان لتصبح ذات الهجرتين.

إن هجرة الحبشة كان الدافع إليها مخافة الفتنة، والفرار إلى الله بدينهم، ولم يكن الدافع إليها هو القيام بنشر الدين الإِسلامى؛ لأن بلاد الحبشة فى ذلك الوقت كانت تَدين بالمسيحية، ولن تقبل المسيحية هناك أن يزاحمها الدين الجديد حتى ولو كان على رأس الحبشة ملك لا يُظْلَم عنده أحد.

والهجرة إلى الحبشة حققت جزءا من التحول والانطلاق؛ لأن النتيجة التى ان يرجوها المسلمون المهاجرون من هجرتهم غلى الحبشة هى أن يفروا بدينهم إلى أرض يطمئنون عليها، ويستقرون بها، ولا يتعرضون فيها لبطش ولا لأذى حتى إذا قدر لإخوانهم فى مكة أن يفنوا عن آخرهم، حملوا هم بعدهم لواء الدعوة!! أما الهجرة إلى المدينة، فقد كان افرار بالدين أحد الأسباب لكن ليس الدافع الأساسى، فالدافع الأساسى هو التحول والانطلاق حيث يتيسر للمهاجرين أن يؤسسوا فى مهاجرهم وطنا لهم. فقد كان الإسلام طول ثلاثة عشر عاما دينا بلا وطن وشعبا بلا دولة[2].

لقد كانت الهجرة تمثل المرحلة الثانية من مراحل الدعوة، مرحلة نضال من أدق مراحل النضال، وإذا كانت هذه المرحلة النضالية قد اتسمت بالمغامرة، فإن المغامرة ليست إلا لونا من النضال، بل هى أسمى ألوان النضال البطولى.

ولقد توجت هذه المرحلة النضالية بالنصر.. انتصر الإيمان على القوة، وانتصرت الروح على المادة، وانتصر الحق على الباطل.

إن عظمة النصر تجلُّ عن الوصف والتقدير..

(1) ذكر الإمام الذهبى مختصرًا.

(2) الهجرة بداية مراحل التحو والانطلاق: محمد عبد الله عنان.

إنها تحرُّر من الخوف وانطلاقٌ نحو الأمن، تحرر من العبودية وانطلاق نحو الحرية، تحرر من الذلة وانطلاق نحو العزة، تحرر من الضيق وانطلاق نحو الفرج، تحرر من الشلل وانطلاق نحو الحيوية، تحرر من الضعف وانطلاق نحو القوة، تحرر من قيود الكلمة وانطلاق نحو حرية الكلمة.

وتلقى رقية ربها بعد أن وقعت فريسة الحمى.. ويتقدم عثمان إلى رسول الله ﷺ فيزوجه «أم كلثوم».

رحم الله رقية ذات الهجرتين، وعثمان ذا النورين وجزاهما عن جهادهما وصبرهما أوفى الجزاء.

5ـ أم حكيم بنت الحارث المخزومية

زوج عكرمة بن ابي جهل

صورة من صور الإيمان بالله والرسول.. ورمز للتضحية والفداء فى سبيل الله.. إنها مجاهدة جليلة!

قبل أن تُسْلم خرجت مع زوجها لتشهد غزوة أحد.. لقد كان زَوجها عكرمة بن أبى جهل.. وكان عليها أن تقف فى صفوف المشركين!

لكنها أسلمت يوم «الفتح» وحدها دون زوجها! أما زوجها «عكرمة بن أبى جهل» فقد طلبت له الأمان! فأمّنه المسلمون! لكنه كان قد هرب!

فخرجت فى طلبه تبحث عنه وقد هرب إلى اليمن فادركته فى ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر فجعلت تصيح إليه وتقول: يَابن عمّ، جئتك من عند أوْصَل الناس، وأبَرّ الناس، وخير الناس!

لا تُهلك نفسك! وقد استأمنتُ لك فآمَنَك! فقال: أنت فعلتِ ذلك؟

قالت: نعم أنا كلمتُه فآمنك!

فرجع معها، فقدم عكرمة، فانتهى إلى باب رسول الله ﷺ وزوجته معه، فاستأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت.

فأخبر عمر رسول اللهﷺ بقدوم عكرمة فأذن له النبى صلى الله عليه وسلم فى الدخول فدخل وأسلم وكانت «أم حكيم» ممن وقفن حول الرسول ﷺ فى خدمة الدعوة والدفاع عنها فقد شهدت «وقعة اليرموك»[1] وأبلت فيها بلاء حسنا، فقاتلت فيها أشد القتال فى موقعة طمرج الصفر»[2].

لقد خرجت بعمود الفسطاط فقتلت سبعة من الروم. أرأيت ماذا تفعل المرأة المسلمة لزوجها ولدينها[3]؟

6ـ خولة بنت مالك بن ثعلبة

ذات فصاحة وبلاغة..

كانت على صلة بالله.. لم تفقد إيمانَها به أحلك اللحظات! بل راحت تحتكم إلى الله ورسوله!

قصتها مع زوجها أضعها بين يدى الأزواج والزوجات حين يكون خلاف أو جدال، ومراجعة أو خصام. «قالت[4]: فِيَّ - والله - وفى أوس بن الصامت أنزل الله - عز وجَلّ- صدر سورة المجادلة؛ قالت: كنتُ عنده، وكان شيخًا كبيرا قد ساء خلُقه، وضَجر، قالت: فدخل علىّ يوما، فراجعته بشىء، فغضب، وقال: أنت علىّ كظَهْر أُمِّى، ثم خرج فجلس فى نادى قومه سَاعةً ثم دخلَ علىّ فإذا هو يريدنى.

قالت: فقلت: كلا والذى نفسى بيده لا تَخْلُص إلىّ، وقد قلتَ ما قلت، حتى يحكمَ الله ورسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سرّى عنه.

فقال: «**يا خُوَيلة؟ قد أنزل الله فيك وفى صاحبك**». ثم قرأ علىَّ: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ..**﴾ إلى قوله: ﴿**وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المجادلة: 1 - 4].

---

(1) واد بناحية الشام.

(2) بنواحى دمشق.

(3) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى المراجع الآتية.

1 - تاريخ الطبرى. 2 - أسد الغابة لابن الاثير. 3 - الوطأ.
4 - الاستيعاب ابن سعد. 5 - سيرة ابن هشام. 6 - طبقات ابن سعد.
7 - الإصابة لابن حجر. 8 - فتوح البلدان للبلاذرى. 9 - الوافى بالوفيات للصفدى.

(4) الإصابة: ج 8 ص 618 - 620.

قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مُريه فليعتق رقَبة**». قالت: فقلت: والله يا رسول الله، ما عنده ما يعتق. قال: «**فليَصُم شهرين متتابعين**».

قالت: فقلت: والله إنه لشيخ كبير ما به من طاقة. قال: «**فليطعم ستين سمكينًا وَسْقًا**[1] **من تمر**».

قالت: فقلت: يا رسول الله، ماذاك عنده.

قالت: فقالت رسول الله ﷺ : «**فإنا سنُعِينُكِ بعذْقٍ من تَمْرٍ**».

قالت: فقلت: يا رسولَ الله، وأنا سأعيه بعذْق آخر فقال: «**قد أَصَبْتِ وأحسنت، فاذهبى فتصدقى به عنه، ثم استوصىَ بابن عمكَ خيرًا**».

قالت: ففعلت.

هذه هى خولة. فى قصتها دروس لالسام الحياة الزوجية، والإسهام فى رأب الصّدْع، ورعاية القرابة، وكبر السن بين الأزواج والزوجات.

روى أن عمر بن الخطاب مر بها فى زمن خلافته، وهو على حمار، والناس حوله، فاستوقفته، ووعظته فقيل له: أتقف لهذه العجوز هذا الموقف؟

فقال: أتدرون من هذه العجوز؟

هى خولة بنت ثعلبة، سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع رب العالمين قولها، ولا يسمعه عمر[2]؟!

لم تلجأ خولة إلى العُنف، ولم تفكر فى الجريمة، فإن ذلك ليس من خلق الإسلام، بل راحت تلتمس الحل عند الله ورسوله وتشكو أمرها إلى الله الذى خلقها فهو القادر على أن يفك كربها، وجعله من بعد عُسْرٍ يسرًا.

وإن شئت أن تسمعيها وهى تعرض شكواها على رسول الله ﷺ فتعالى إلى ما أخرجه ابن ماجة والحاكم وصححه، والبيهقى وغيرِهم عن عائشة رضى الله عنها قالت: «تبارك الذى وسع سمعه كلّ شىء، إنى لأسمع كلام خولةَ نبت ثعلبة، ويَخْفَى علىَّ بعضه، وهى تشتكى

(1) الوسق: حمل يعبر. والوسق: ستون صاعًا بصاع النبى ﷺ .
(2) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة.

زوجها إلى رسول الله ﷺ وهى تقول: يا رسولَ الله، أكل شبابى، ونَثَرْتُ له بطنى، حتى إذا كبر سنّى، وانقطع ولدى، ظاهَرَ مِنّى! اللّهُمّ إنى أشكو إليك!!

قالت: فما برحت حتى تزل جبريل – عليه السلام – يهؤلاء الآيات[1]. وقد أوصى النبى ﷺ بالنساء خيرا، وكان المثل الأعلى فى معاملة زوجاته، يقول فى ذلك[2]: «**ما استفاد المؤمنُ بعد تقوى الله خيرًا منِ زوجةٍ صالحةٍ، إن أمَرَها أطاعته، وإن نظرَ إليها سَرّته، وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرْضه**».

ويقول أيضًا: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**».

ويقول ﷺ فى آخر خطبة له: «**استوصوا بالنساء خيرا**»[3] وللرسول ﷺ أحاديث شتى فى الوصاية بالزوجات، والحث على إحسان معاملتهن. وقد أبطل الإسلام الظِّهار.

واعتبره الإِسلام منكرًا من القول وزورًا يعاقب من ينطق به على سفهه عقابًا رادعا له عن العودة إلى مثله ويزجر غيره عن أن يفعل فعله.

---

(1) رجالُه ثقات.

(2) كَنز العمال (9/ 258 – 261).

(3) عن عمرو بن الاحوص فى حديث طويل فى ذكر حجة الوداع عن النبى ﷺ قال: «ألا واستوصوا بانساء خيرا فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا ان يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح فإن أطعنكم فلا نبغوا عليهن سبيلًا، ألا وإن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم: فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون. ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن».
أخرجه الترمذى وصححه. ومعنى عوان: أسيرات.

ثالثا:

المرأةُ المُسلمَة بنتا

- فاطمة بنت محمد ﷺ.
- أسماء بنت ابي بكر رضى ﷺ.
- درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب.
- أم كلثوم بنت عقبة بن معيط.
- الخنساء بنت خذام.
- بريرة مولاة عائشة.

بنات مثاليات

يحدثنا التاريخ عن بنات مثاليات كان لهن وجودهن وشأنهن ورأيهن فى أسرهن!

لم تكن البنت عنصرا سلبيّا خاملا، وإنما كانت عنصرا إيجابيا ناشطا قادرا على المشاركة فى تحمل المسؤولية.

وعلى رأسهن «فاطمة الزهراء»، بنت النبى ﷺ فقد كانت «أم أبيها» وريحانته، ومؤنسته فى عطف وحب!

ومن يقرأ سيرتها يدرك إلى اى مدّى قامت بدور أمها «خديجة بنت خويلد» بعد أن لقيت ربها.. ومن يتابع خطوات البنت المسلمة على طريق الهداية والرشاد يجد أنها كانت صاحبة الرأى فى أمردينها يوم أن أشرقت شمس الإسلام فى مكة المكرمة «أم القرى» وراح الرسول ﷺ ينذر «أم القرى» وراح الرسول ﷺ ينذر «أم القرى» ومن حَوْلَهَا ويبشرهم بالدين الجديد!.. **وهذه نماذج لنبات مثاليات:**

1ـ فاطمة بنت النبى ﷺ

«أم أبيها» فهى كريمة الطرفين، بنت سيد الخلق، ورسول الله، أبى القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

التبول: المنقطعة للعبادة، أو التى انقطع نظيرها فضلا وعملا، وخلقا وأدبا، وحسبا ونسبا.

كانت أصغر من زينب زوجة العاص بن الربيع، ومن رقية زوجة عثمان بن عفان.

ولقد كانت أَحَبّ أهل النبى إليه فقال: «**فاطمةُ بِضْعَةٌ منى يرينى ما رابها، ويؤذينى ما آذاها**»[1].

إنها سيدة نساء العالمين، وأفضل نساء أهل الجنة أجمعين وابنة حبيب رب العالمين وأم الحسن والحسين. قال الزبير بن بكار: انقرض عقب زينب، وصح أن الرسول ﷺ جّلَّل فاطمة وزوجها وابنيهما بكساء وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهبْ عنهم الرجْس وطهِّرهم تطهيرًا**»[2].

وعن أبى هريرة قال: جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ تسأله خادما، فقال لها: «**قولى: اللهم رب السموات ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شىء، منزل التوراة والإجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذٌ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر. فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىءن اقْضِ عنى الدَّيْن، واغنِنى من الفقر**». [أخرجه الترمذى].

هذه فاطمة بنت النبى ﷺ تخدم نفسها بنفسها وتتحمل أعباء بيتها.

وذكر الطبرانى أنه لما انصرف المشركون فى أحد خرج نساء الصحابة لتقديم العون لهم، فكانت فاطمة فيمن خرج، فلما لقيت النبى ﷺ اعتنقته، وجعلت تغسل جراحاته بالماء، فيزدادالدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئًا من حصير فأحرقته بالنار، وكمدته به حتى لصق الجرح، فاستمسك الدم»[3].

(1) ابن عبد البر فى الاستيعاب.
(2) سير أعلام النبلاء ج2 ص 88.
(3) ابن عبد البر فى الاستيعاب.

وفى معترك الأحداث التى تحياها أمتنا، يتجلى دور البنت المسلمة فيها، لتكون الأسوة الطيبة لفتاة اليوم المسلمة.

إن سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء بنت الرسول القائد عليه الصلاة والسلام، لم تكن أثناء المعركة فى سرادق ضخم، بل كانت تعمل بين طعنات الرماح وضربات السيوف، وتساقط النبال كالمطر على المسلمين لإيصال الغذاء والدواء والسِّقاء للمقاتلين.

وهذه صورة أخرى لابنة خير الخلق أجمعين أهديها لعرائس اليوم اللاتى يحملن الأزواج ما لا يطاق!!.

قال على -رضى الله عنه-: لقد تزوجت فاطمة وما لى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونضعه على الناضح بالنهار. ما لى ولها خادم غيرها!.

ولما زوّجها رسول الله ﷺ أرسل معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورَحاءين، وسقاء وجرتين، فجرّت بالرحاء حتى أثّرت فى يدها واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتى اغبّرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها»[1].

هذه هى الزهراء أم حفيدى الرسول: الحسن والحسين!

لقد كانت من حوله.. فلا عجب إن تركت أجمل الأثر فى قلبه الحنون.

وستظل الدنيا تذكر فاطمة «أم أبيها محمد» البتول.. الزهراء.. الطاهرة.. المتعبدة.. الزاهدة التى كلما قرصها الجوع سجدت.. وكلما هدها التعب ذكرت، ويحدثنا الإمام مسلم عن فضائلها فيروى عن عائشة رضى الله عنها قالت:

«كُنّ أزواجُ النبى ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة - رضى الله عنها- تمشى، ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئا، فلما رآها رحّب بها فقَال: «**مرحبًا بابنتى**»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاءً شديدًا، فلما رأى جَزَعَها سارّها الثانية، فضحكت، فقلت لها: خصّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرَار، ثم أنتبكين؟!.

فلما قام رسول الله ﷺ، سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ ؟! ثم قالت: ما كنت أفشى على رسول الله ﷺ سره.

قالت: فلما توفى رسول الله ﷺ قلت لها:

(1) سير أعلام النبلاء ج2 ص 88.

عزمت عليك بما لى عليك من الحق لَمَا حَدّثْتنى ما قال لك رسول الله ﷺ، فقالت: أما الآن فنعَمَ. أمّا حين سارَنى فى المرة الأولى، فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة، وإنه عارضه الآن مرتين، وإنى لا أرى الأجلَ إلا قد اقترب، فاتقى الله، واصبرِى، فإنه نعم السلم أنا لك.

قالت: فبكيت بكائى الذى رايت.

فلما رأى جزعى، سارّنِى الثانية فقال: «**يا فاطمةُ، أما ترضين أن تكونى سيدةَ نساءِ المؤمنين، أو سيدةَ نساء هذه الأمةِ**»؟!.

قالت: فصحكت ضحكى الذى رأيت.

هذه هى فاطمة الزهراء عائت على قدرها وشرفها عيشة ضنَك فقد جرّتْ بالرّحى حتى أثرت فى يدها! واشتقت بالقرية حتى أثرت فى نحرها!

وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها!

وقد كفاها علىٌّ الخدمة خارجا، فقال لأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم اكفى بنت رسول اللهّ ﷺ الخدمة خارجًا، وتكفيك هى العمل فى البيت: العجن، والخبز، والطحن[1].

ولما علم زوجها عليّ أن النبى ﷺ قد جاءه خدم، قال لفاطمة: لو أتيت أباك فسألتيه خادمًا؟!.

فأتته فقال لها النبى ﷺ: «**ما جاء بك يا بُنية؟!**».

قالت: جئت لأسلَّمَ عليك، واستحيت أن تسأله، ورجعت، فأتاها رسول الله ﷺ من الغد، فقال: «**ما كانت حاجتك؟**» فسكتت!

فقال علىَّ: أنا أحدثك يا رسولَ الله، جرّت الرحى حتى أثرت فى يدها، وحملت القربة حتى أثرت فى نحرها، فلما أن جاءك الخدم، أمرتها أن تأتيك فتستخدمها خادمًا تقيها حرّ ما هى فيه!.

فقال النبى ﷺ : «**والله لا أعطيكما، وأدع أهلَ الصُّفَّة تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكنى أبيعهم، وأنفق عليهم أثمانهم**».

فرجعا، فأتاهما النبى ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا.

(1) سير أعلام النبلاء للذهبى برواية الأعمش عن عمرو بن مرة عن ابى ابختر ى قال: قال على لأمه: إلخ».

فقال: «**مكانَكُما. الا أخبر كما بخير مما سألتمانى؟!**» فقالا: بلى. فقال: «**كلمات عَلَّمَنِيهُنَّ جبريلُ: تسبحان فى دُبُر كل صلاة عَشْرَا، وتحمدان عَشْرا، وتكبران عَشَرَاْ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسَبِّحَا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثينن وكبِّرا أربعا وثلاثين**».

وتعطينا المثل فى تربية ابنيها:

لقد كانت ترقص ولدها الحسين وتقول:

إن نبى شَبَهُ النبى ... ليس شبيها بعلى

وتعطينا المثل عند الوفاة...

فعند وفاة والدها... وعندما ثَقُلَ النبى ﷺ وجعل الموتُ يتغشاه قالت فاطمة: واكرب أبتاه!

فقال لها النبى ﷺ : «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**».

فلما توفى قالت: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه... يا أبتاه، فى جنة الفردوس مأاه.... يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه.

لقد روت عن النبى ﷺ ثمانية عشر حديثًا، أخرج لها منها فى الصحيحن حديث واحد متفق عليه وروى لها الترمذى وابن ماجة وأبو داود.

ويقول ابن الجوزى، ولا نعلم أحدا من نبات رسول الله ﷺ أسند عنه غير فاطمة.

وشكت فاطمة إلى أسماء بنت عميس تحول جسمها، وقالت أتستطيعين أن توارينى بشىء؟!.

قالت: إنى رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة، ويشدون النعش بقوائم السرير، فأمرتهم بذلك، وعمل لها نعش قبل وفاتها.

فنظرت، فقالت: سترتمونى ستركم الله[1].

قال ابن عبد البر: هى أول من غطى نعشها فى الإسلام.

وغسلها علىَّ أسماء، ولم تسمح أسماء لأحد بالدخول عليها ووقف على عند قبرها فقال:

لكن اجتماع من خليلين فرقةٌ ... وكل الذى دون الممات قليلُ

وإن افتقادى واحدًا بعد واحدٍ ... دليلٌ على أن لايدوم خليلُ

(1) أورده الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء بنحوه عن قتيبة بن سعيد.. عن أم جعفر.

رضى الله عنها... لقد كانت ملء السمع... وملء العين... مِلء القلب...

أم أبيها... وأوثق الناس صلة به، وأشفقهم عليه.. وأعيد عليك هذا الموقف...

عندما جُرحَ ﷺ بأحد خرجت مع نساء من المدينة تستقبله لتطمئن عليه، فلما رأت جراحه احتضنته، وعانقته، وصارت تمسح الدم عنه، ثم أخذت ماء وغسلت وجهه!

ما أروعه من موقف خفق فيه قلب محمد ﷺ بحب ابنته وحُنُوّه عليها!

وكأنى بالزهراء - عليها السلام- يترقرق الدمع فى مآقيها، ويخفق قلبها بالحب والحنان!

وبعد... فهذه هى «الزهراء» بنت النبى... القائد.... تضرب المثل... وتخرج هى وأربع عشرة امرأة منهن «أم سليم بنت ملحان» و «عائشة أم المؤمنين» - رضى الله عنهما- ... تحمل الماء فى قرية... والزاد على ظهرها... تطعم المؤمنين المحاربين وتسقيهم!

2ـ أسماء بنت أبى بكر الصديق

مهاجرة جليلة.....

وسيدة كبيرة بعقلها، وعزة نفسها، وقة إرادتها. ولدت سنة 27 قبل الهجرة.

وهى أكبر سنا من أختها لابيها «عائشة» أم المؤمنين بعشر سنين وهى شقيقة عبد الله بن أبى بكر.

دُعيت بذات النطاقين؛ لأنها أخذت نطاقها فشقته شطرين فجعلت واحد لسُفْرة رسول الله ﷺ والآخر عصامًا لقربته ليلة خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق إلى الغار.

وكان أهل الشام يُعيرون ابن الزبير بذات النطاقين يوم كانوا يقاتلونه!

فقالت لابنها عبد الله: عيَّروكَ؟!.

فقال: نعم.

قالت: فهو والله حق!

وقالت أسماء لما قابَلت الحجاجَ: وكيف تُعيِّر عبد الله بذات النطاقين؟! أجَلْ... قد كان لى نطاق لابد للنساء منه، ونطاق أغطى به طعام رسول الله ﷺ.

لقد أسلمت قديما بمكة بعد إسلام سبعة عشر إنسان، وبايعت النبى ﷺ. وآمنت به إيمانًا قويًا.

حسن إسلامها:

فمن حسن إسلامها: أن «قتيلة بنت عبد العزى» قدمت على ابنتها أسماء بنت أبى بكر الصديق - وكان ابو بكر طلقها فى الجاهلية - بهدايا زنيب وسمن وقرط، فأبت أن تقبل هديتها أو تدخل بيتها!

فأرسلت إلى عائشة: سلى رسول الله ﷺ؟

فقالت: لِتَدْخُل بيتها، ولْتقبل هديتَها!

حسن تصرفها:

واحتمل أبو بكر - رضى الله عنه - ماله كله لما خرج رسول الله ﷺ مهاجرا، وقدره خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بما معه!

ثم دخل جدها «ابو قحافة» على أسماء - وقد ذهب بصره - فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه!

فقالت له: كلا ياجدى! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرًا، فأخذت أحجارًا فوضعتها فى كُوّة البيت الذى كان أبوها يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، أخذت بيده، فقالت: ضع يدك على هذا المال... فوضع يده عليه... فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم.

والحقيقة أنّ أبا بكر لم يترك لعياله شيئا ولكنها أرادت أن تسكن روع ذلك الشيخ.

تزوجها الزبير بن العوام، وما له فى الأرض مال ولا مملوك ولا أى شىء غير فرسه! فكانت تعلف فرسه، وتكفيه مئونته، وتسوسه، وتدق النوى لناضحه[1]... وتسقيه الماء.. وتعجن..

وكان الزبير شديدًا عليها، فأتت أباها وشكت ذلك إليه! فقال لها: يابنية، اصبرى؛ فإن المرأة إذا كان زوج صالح ثم مات عنها، فلم تزوج بعده جمع بينهما فى الجنة.

وجاءت أسماء النبىَّ ﷺ فقالت: يارسول الله: ليس فى بيتى شىء إلا ما أدخل علىّ الزبير، فهل على جناح فى أن ارضخ مما يدخل علىّ به؟

فقال: «**ارضخى ما استطعت، ولا تُوكى فيوكَى عليك**»[2] فكانت امرأة سخية النفس. وعن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء،

(1) البعير الذى يقوم بجلب الماء. أو الفرس.

(2) ارضحى: أعطى وتصدقى. لا تُوكى، لا تُغلقى ولا تمنعى، فيمنع عنك. والحديث ذكره ابن الأثير بلفظ. «أعطى ولا

وجودهما مختلف: أما عائشة، فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت. وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئا لغد.

وشهدت أسماء وقعة اليرموك مع زوجها الزبير وأبلت فيها بلاء حسناء واتخذت خنجرًا زمن سعيد ابن العاص فى الفتنة فوضعته تحت مرفقها. فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟

قالت: إن دخل علىّ لصٌّ بعجت بطنه!

وفرض عمر بن الخطاب لأسماء ألف درهم!

وروت أسماء عن النبى ﷺ 58 حديثًا[1] وفى رواية 56 حديثًا اتفق البخارى ومسلم على أربعة عشر حديثًا وانفرد والبخارى بأربعة، وانفرد مسلم بمثلها[2] وفى راواية : أخرج لأسماء من الأحاديث فى الصحيحين اثنان وعشرون، المتفق عليها منها ثلاثة عشر، وللبخارى خمسة، ولمسلم أربعة[3].

شاعريتها وثورتها:

أسماء شاعرة ثائرة ذات منطق وبيان فقالت فى زوجها الزبير لما قتله عمرو بن جرموز المجاشعى بوادى السباع[4]، وهو منصرف من وقعة الجمل:

غَـــدَرَ ابـــن جـرمـــوز بـفـارس بهمة ... يـــوم الـهـيـاج وكـــان غـيـر مُـعـرد

يـــا عـــمـــرو لـــو نـبـهـتـه لـوجـدتـه ... لا طـائـشـا رعـــن الـجـنـان ولا اليد

ثكلتك أمـــك إن قتلت لمسلما ... حـلـت عليك عـقـوبـة المتعمد[5]

جودها وكرمها:

وكانت أسماء ذات جود وكرم لاتدخر شيئًا لغد، فكانت تمرض المَرْضة فتعتق فيها كل مملوك لها.

مضاء عزيمتها وعزة نفسها وشجاعتها:

توكى..».

(1) مطالع الأنوار للكازرونى.

(2) الكمال فى معرفة الرجال للحافظ المقدسى.

(3) المجتنى لابن الجوزى.

(4) وادى السبع: بينه وبين البصرة خمسة أميال.

(5) قيل: إن هذه الأبيات لعائكة بنت زيد زوج الزبير.

تنبئنا كلماتها كلها لابنها عن تلك المعانى النبيلة.. فلقد دخل عليها ابنها عبد الله وهى عمياء قد بلغت مائة سنة وقال لها:

يا أماه، ما ترين؟!

قد خذلنى الناس، وخذلنى أهل بيتى! فقالت: لا يلْعَبَنّ بك صبيان بنى أمية... عش كريما ومت كريم!

والله إنى لأرجو أن يكون عزائى فيك حسنًا! فخرج فقاتل حتى قتل! وقيل: إن الحجاج حلف ألا ينزله من تلك الخشبة حتى تشفع فيه أمَّه فبقى سنة ثم مرت تحته أمه فقالت: أما أن لهذا أن ينزل!

وذكروا أن الحجاج قال لأسماء بعد قتل عبد الله:

كيف رأيتنى صنعت بابنك؟

فقالت: أفسدت عليه دنياه.. وأفسد عليك آخرتك!

وتوفيت أسماء بمكة ولها مائة سنة لم يسقط لها سن، ولم يُنْكَر لها عقل[1].

ويسجل كاتبنا مصطفى لطفى المنفلوطى ما دار بين أسماء وعبد اللّه فى قصيدة تعد لوحة فنية رائعة قائلا:

إن أسماء فى الوَرَى خيرُ أنثى ... صنعت فى الوداع خيرَ صنيع

جاءها ابن الزبير يسحبُ درعا ... تحت درع منسوجة من نجيع

قال: يا أم قد عييت بأمرى ... بين أسر مُرٍّ وبين قتل فظيع

خاننى الصحبُ والزمان فمالى ... صاحب غير سيفى المطبوع

وأرى نجمى الذى لاح قبلاً ... غاب عنى ولم يعد لطلوع

بذل القومُ لىَ الأمان فمالى ... غيره إن قبلته من شفيع

فأجابت والجفن قفر كأن لم ... يك من قبل موطنا للدموع

واستحالت تلك الدموع بخارًا ... صلعدًا من فؤادها المصدوع

لاتُسَلم إلا الحياةَ وإلا ... هيكلا شأنه وشأن الجذوع

إن موتًا فى ساحة الموت خير ... لك من عيش دلة وخضوعِ

إن يكن قد أضاعك الناس فاصبر ... وتثبت فالله غير مُضيع

(1) مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد - تاريخ الطبرى- الإصابة- سيرة ابن هشام..

مـت هـمـامًـا كـمـا حـيـيـت هـمـامًـا واحْـــىَ فـى ذكـــرك المجيد الرفيع
لـيـس بـيـن الـحـيـاة والـمـوت إلا كـــرة فـــى ســـوادِ تـلـك الـجـمـوع

وسوف تظل كلمات أسماء لابنها – حين قال لها: «يا أماه إنى أخاف إن قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى» – نورًا على طريق الحياة الكريمة. لقد أجابته فى كلمة صادمة كالطود، قوية كنفسها، كبيرة كإيمانها، تلك الكلمة التى وضعت نهاية المعركة: «يابنى. إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها».

ويختم المنفلوطى قصيدته بقوله:

وأتـــى أمّـــى الـنَـعـــىّ فـجـادت بـعـد لأى بـدمـعـهـا الـمـمـنـوع

ونال عبد الله الشهادة وانتصرت القيم الشيمَّاء للأم المثالية.....

وسجلت القصة لهما أنصع الصفحات فى تاريخ الخالدين.

3ـ درة بنت أبى لهب بن عبد المطلب

ابنه عم النبى ﷺ

أسلمت وهاجرت وحسن إسلامها.

يقول الإمام الذهبى:

لها حديث واحد فى المسند من رواية ابن عمها لحارث بن نوفل[1].

ويذكر ابن حجر فى الإصابة أن درة بنت أبى لهب لما قدمت المدينة مهاجرة نزلت فى دار رافع بن المعلى فقال لها نسوة من بنى زريق:

أنت ابنة أبى لهب الذى يقول الله له: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: 1].

فما تغنى عنك هجرتك؟!

فأتت النبى ﷺ فذكرت ذلك له؛ فقال: «**اجلسى**»، ثم صلى بالناس الظهر، وجلس على المنبر ساعة، ثم قال: «**أيها الناس، مالى أوذى فى أهلى؟! فوالله إن شفاعتى لتنال قرابتى حتى أن صداء وحكما وسلهبًا لتنالها يوم القيامة**»[2].

(1) الطبقات (3408). الاستيعاب (4 : 290) الإصابة (7: 634) أسد الغابة (5: 449).

(2) ذكره ابن حجر فى الإصابة بقولة: وروى ابن أبى عاصم، والطبرانى وابن منده من طريق عبد الرحمن بن بشر، وهو

وأخرج الدارقطنى فى كتاب الإخوة، وابن عدى فى الكامل، وابن منده عن درة بنت أبى لهب قالت: قال النبى ﷺ : «**لا يؤذَى حيٌّ بميت**».

وبهذا الأدب النبوى ينبغى أن نتحلى، ولا نتخلى عنه أبدا مهما كانت عداوتنا للأموات!

4ـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط

حياتها مثل من أمثلة التضحية والجهاد فى سبيل الله.. يقول ابن سعد فى طبقاته:

هى أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبى ﷺ وأصحابة. ولا نعلم قرشيّة خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا «أم كلثوم».

خرجت من مكة وحدها، وصاحبت رجلا من خُزاعة، حتى قدمت فى الهدنة.

فخرج فى أثرها أخواها، فقدمَا ثانى يوم قدومها، فقالا: يا محمد، شرطُنا أوْفِ بَه.

فقالت أم كلثوم: يارسول الله، أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف، فأخشى أن يفتنونى فى دينى، ولا صبر لى، فنقض الله العهد فى النساء، وأنزل آية الامتحان[1]، وحكم فى ذلك بحكم رضوا به كلهم. فامتحنها رسول الله ﷺ والنساء بعدها:

«**ما أخرجكن إلا حُبُّ الله ورسوله والإسلام، لاحبّ زوج ولا مال**». فإذا قلن ذلك لم يُرْدَدْن.

قال: ولما لم يكن لها بمكة زوج، فتزوجها زيد، ثم الزبير، ثم عبد الرحمن بن عوف، ثم عمرو بن العاص. فماتت عنده.

إنها شابة لم تنفصل عن أبويها ولم تتزوج... دخل الإيمان قلبها فخرجت من مكة وحدها مهاجر إلى الله ورسوله... وخرج أخواها وراءها ليعيداها...

وكان النبى ﷺ قد صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاءهم من المسلمين.

ضعيف، عن محمد بن إسحق، عن نافع وزيد بن أسلم، عن ابن عمر؛ وعن سعيد المقبرى وابن المنكدر عن أبى هريرة، وعن عمار بن ياسر قالوا: قدمت درة إلى آخر الحديث.. 31 الإصابة ج7ص 634.

(1) فى سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ..﴾ [لمتحنة 10، 11].

فلما هاجر إليه النساء أبى الله أن يردهن إلى المشركين ونزلت الآيات بامتحانهن ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف. هل هن مسلمات حقيقة أم لا؟!.

«وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهى عانق «الشابة أول ما تدرك» فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم حتى أنزل الله فى المؤمنات ما أنزل».

[رواه البخارى عن المسور بن مخرمة]

وقد نجحت أم كثوم فى الامتحان ونجت بدينها من قومها. قيل: الامتحان أن تقول بالحلف:

ما خرجت إلا حبا لله ورسوله... ما خرجت لالتماس دنيا، ولا من بغض زوج.

وقيل: أن تشهد بالكلمة الطيبة.

وقد شهدت على ملأ من الأشهاد: أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله!

لقد كان لها منزلتها بين المسلمين؛ تبين ذلك مما جاء فى الإصابة وأخرجه ابن منده أن عمر بن الخطاب قال لأم كلثوم بنت عقبة امرأة عبد الرحمن ابن عوف: أقال لك رسول الله ﷺ: «**انحكى سيد المسلمين عبد الرحمن بن عوف**»؟ فقالت نعم.

وحديثها فى الصحيحين والسنن الثلاثة قالت:

«لم أسمعه - يعنى النبى ﷺ - يرخص فى شىء مما يقول الناس إنه كذب إلا فى ثلاث.. الحديث».

وأخرج لها النسائى فى الكبرى حديثًا آخر فى فضل «قل هو الله أحد».

روت عن النبى ﷺ عشرة أحاديث أخرج لها منها فى الصحيحين حديث واحد متفق عليه.

لقد آمنت «أم كلثوم بنت عقبة» دون رجال بيتها، وفارقت خدرها، ومستقر أمنها ودَعَتها، تحت جنح الليل، فرَيدة شريدة تطوى بَها قدَناها ثنايا الجبال، وأغوار التهائم بين مكة والمدنية

إلى مفزع دينها، ودار هجرتها... إلى رسول الله ﷺ ثم أعقبتها بعد ذلك أمها، فاتخذت سنتها، وهاجرت هجرتها، تركت شباب أهل بيتها وكهولهم وهم فى ضلالهم يعمهون[1].

وسوف تظل كلمات أم كلثوم للرسول ﷺ نورًا يضئ الطريق لكل فتاة تؤمن بربها:

أتردنِي يا رسول الله إلى الكفار يفتنونى عن دينى، ولا صبر لى، وحال النساء فى الضعف ما قد علمت؟! إن هناك معاهدة تنص على رد كل من أسلم من مكة وهاجر إلى المدينة من الرجال والنساء... وينزل القرآن: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فكان يقول: **«والله ما أخرجكن إلا حبُّ الله ورسوله والإسلامِ! ما خرجتن لزوج ولا مال. فإذا قلن ذلك لم يرجعن إلى الكفار!»**.

5ـ خنساء بنت خذام

وضع الإسلام المرأة حيث ينبغى، فهى ربة البيت والقائمة بأمره، والمسؤولة عنه.

يعاونها الرجل فيه، وتعاونه هى فيما سواه...

أما حريتها فتتحلى فى حرية الزواج... وحرية إظهار رأيها.. وذلك شأنها وحقها، وليس لأحد أن يغصبها فيه رأيها، أو يعدو إذنها. وحريتها فيه أبعد مدى، وأتم شأنا من الرجل.

فهو إذا عقد عليها ثم لم يرضها فتركها قبل أن يبى بها، نزل عن نصف مهرها لها.

وإن تركها بعد ذلك فلها المهر كاملا. وليس له أن يقول: هى دونى نسبا او منزلة، فكل النساء أكفاء للرجال، وليس كل الرجال أكفاء للمرأة.

أما هى فلها أن تفصم عقدة الزواج إذا خدعت فيه أو أكرهت عليه، وليس لامرئ أن يقودها قسرا إلى من لا تريد، فلقد فصم الرسول ﷺ زواج «خسناء بنت خذام الأنصارية»، لأن اباها زوجها وهى كارهة!

«وخنساء بنت خذام» هى من بنى عمرو بن عوف بن الأوس. لقيت النبى ﷺ عند مقدمه إلى المدينة وهى صبية حدَثة، وسمعت عنه.

وكان قد خطبها اثنان: أحدهما: «أبو لبابة بن المنذر» أحد الأبطال النابهين من أصحاب الرسول ﷺ.

(1) الإصابة: (ج 8 ص 275).

والثانى: رجل من بنى عمرو بن عوف - عشيرتها - فآثرت أبا لبابة وآثر أبوها ابن عمها، ثم أمضى منه زواجها غير آبه برضاها، فأما هى فغدت على رسول الله ﷺ فقالت: إنَّ أبى قد تعدَّى علىَّ فزوجنى ولم يشعر بى، فقال لَها: «**لا نكاح له، انكحى مَنْ شئت**»[1] فتزوجت أبا لُبابة.

واختلف المحدّثون فى أمرها حين زواجها، ففى رواية الموطأ والثورى أنها كانت بكرا، وفى رواية البخارى وابن سعد أنها كانت أيمًا وانها قالت: يارسول الله، إن عم ولدى أحبَّ فجعل أمرها بيدها.

ويروى شمس الأئمة السرخسى[2] فى كتابه المبسوط حديث «خنساء بنت خذام» على الوجه الآتى:

قالت الخنساء: إن أبى زوجنى من ابن أخيه وأنا لذلك كارهة.

فقال ﷺ : «**أجِيْزِى ما صنع أبوك**».

فقلت: ما لى رغبة فيما صنع أبى؟

فقال ﷺ : «**اذهبى فلا نكاح له، انكحى من شئت**».

فقالتك أجزت ما صنع أبى، ولكنى أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من أمور بناتهم شىء».

قال صاحب المبسوط: ولم ينكر عليه الصلاة والسلام مقالتها»[3].

ويقودنا الحديث عن الخنساء إلى الحديث عن «بريرة» ومن بريرة؟

هى جارية من جوارى الحبشة، ملكها عتبة بن أبى لها، وزوجها عبدا من عبيد المغيرة، ما كانت لترضاه لو كان لها أمرها.

فأشفقت عليها عائشة أم المؤمنين فاشترتها وأعتقتها. فقال لها الرسول ﷺ : «**مَلَكْتِ نفسك فاختارى**».

---

(1) صحيح البخارى ج7 ص 18 والإصابة ج 8 ص 65.

(2) شمس الأئمة السرخسى أحد أئمة الحنفية وأعلام القضاة، وكتابه المبسوط من أشمل كتب التشريع الإسلامى وأحفلها، يقع فى عشرين مجلد. ومن عجيب أمره أنه أملاه وهو رهين السجن بأوزجند. وأورجند: بلد من بلاد فرغانة فى أقصى حدود الدولة الإسلامية إلى الشرق والشمال. وكانت وفاته سنة 438 رحمه الله.

(3) المبسوط ج 5 ص 2.

وكان زوجها يمشى خلفها ويبكى، وهى تأباه. فقال النبى ﷺ لأصحابه:

«**ألا تعجبون من شدة حبه لها، وبغضها له!**» ثم قال لها: «**اتقى الله، فإنه زوجك، وأبو ولدك**».

فقالت: أتأمرنى؟!

فقال لها: «**إنما أنا شافع**». فقالت: إذًا فلا حاجة لى فيه»[1].

فهل يعجب الناس بعد ذلك أن يقف فتيات العرب دون عسف آبائهن وأوليائهن؟!.

كم من الجرائم تُرتكب بسبب تجاهل رأى النبات وتزويجهن ممن لا يدانيهن فى طبع، ولا يواتيهن فى خلق جريا وراء المادة وطمعا فيما عند الزوج من مال!!.

ألا فليذكر الآباء ما تعانية النبات من الآم نفسية وجسمانية. هذه فتاة حدثة زوجها أبوها بغير إذنها تكتب إلى ابيها قائلة:

أيَــا أبــتَــا عَــنّــيــتَــنــى وابتليتنى ... وصـيـرت نفسى فـى يَـدِ مـن يُهينُها

أيـا أبـتـا لـولا الـتَـخَـرّج قَـدَ دَعـا ... عليك مُـجَـابًـا دعـوةً يستديُنها

وقالت أخرى آثر أبوها ابن عمها:

عجبًا لـلـخـود[2] يـجـرى وشرحها ... تُـزَف إلـى شيخ مـن الـقـوم تِـبْـالِ

دعـاهـا إلـيـه أنـه ذو قـرابـة ... فويل الغوانى من بنى العم والخال

وإليك قصة «بريرة» كما روتها كتب الأعلام والتراجم والسير:

6 ـ بريرة

مولاة عائشة رضي الله عنها

يروى ابن سعد فى طبقاته: أن زوج برية كان عبدا أسود يسمى «مغيثا»[3] فقضى فيه ﷺ أربع قضيات : إن مواليها اشترطوا الولاء، فقضى رسول الله: «**أن الولاء لمن أعتق**». وخُيّرت، فاختارت نفسها. فأمرها الرسول ﷺ أن تعتدَّ.

---

(1) المبسوط ج 5 ص 99.

(2) الخود: الحسنة الخلْق الشابة أو الناعمة. القاموس المحيط.

(3) يقول ابن حجر: قصتها فى الصحيحين، وفيهما عن عائشة: «كانت فى بريرة ثلاث سنن..» الحديث. وقد جمع بعض الأئمة فوائد هذا الحديث فزادت على ثلثمائة. ولخصتها فى فتح البارى.

فكنت أراه – يعنى زوجَها – يتبعها فى سكك المدينة يعصر عينيه عليها.

قال: وتُصدّق عليها بصدقة، فأهدت منها إلى عائشة، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: «**هو عليها صدقة، ولنا هدية**».

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر، فإنه يصبح من المناسب بعد ذكر ما كان من أمر تلك «المجادلة فى زواجها» أن نذكر ما كان من أمر بريرة مع زوجها «مغيث»، فقد كان لها أيضا رأيها، ولم تتنازل عنه أمام شفاعة الشافعين!

يروى ابن سعد فى طبقاته: أن رسول الله ﷺ خَيّر «بريرة» فكلمها رسول الله ﷺ فيه، فقالت: يا رسول اللّه، أشىء واجب علىّ؟! قال: «**لا، إنما أشفع له!**» قالت: فلا حاجة لى فيه.

وهكذا تقررت حرية المرأة فى أمر نفسها.. حرية تكفل للبيت النعيم وتوفر للمرأة الهناءة.. أى سماحة فى هذه الشفاعة؟! وأى سماحة فى تقبل ردها؟!

وأى قرار خطير ذلك الذى تم اتخاذه بأناة حين اعترف بحق القلب فى الاختيار، وقدمه على الشفاعة، وإن كانت شفاعة لا ترد!!

صلى الله عليك ياسيدى يا رسول الله، أعطيت المثل والقدوة!

ألا ليت أولياء الأمور يعون هذا الدرس! وتشتاق النفس إلى معرفة مزيد عن بريرة... لقد كانت جارية حبشية يملكها عقبة بن أبى لهب فزوجها عبدا من عبيدة يسمى «مغيثا» على غير رغبة منها!!.

فكانت تضيق به، وتتبرم منه، ولكنها مملوكة، وأمرها ليس بيدها.

فلما علمت السيدة عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها– بما تعانيه «بريرة» فى هذا الزواج اشترتها وأعتقتها، واصبح من حقها فسخ عقد الزواج، أو إقراره بعد أن نالت حريتها، لكن بريرة تختار الفسخ بعد أن قال لها رسول الله ﷺ : «**ملكت نفسك فاختار**»!

فاختارت أن تنجو بنفسها من هذا الزواج الذى لا سعادة فيه، فكان زوجها بعد الفراق يمشى خلفها ويبكى، ويسترضيها فلا ترضى عنه!

وكان يرثى له كل من يراه خلفها باكيًا!!

رآه رسول الله ﷺ مرة – وتلك حاله – فقال:

«ألا تعجبون من شدة حبه لها، وبُغضها له»؟!

ثم قال لها النبى ﷺ : **«اتقى اللهَ، فإنه زوجك وأبو ولدك»**. فقالت : أتأمرنى يا رسول الله؟!

فقال: **«لا ... إنما أنا شافع»**.

فقالت: «إذن؛ فلا حجة لى فيه». [أخرجه الخمسة إلا مسلمًا].

ويروى عبد الملك بن مروان عنها حديث دار بينه وبينها فيقول: كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لى: يا عبد الملك؛ إنى أرى فيك خصالا، وإنك لخليق أن تلى هذا الأمر فإن وليته؛ فاحذر الدماء؛ إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الرجل ليُدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محْجمةٍ من دم يريقه من مسلم بغير حق»**[1].

(1) يقول ابن حجر فى الإصابة: وذكرها أبو عمر من طريق عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه أن عبد الملك بن مروان قال: «كنت أجالس بريرة.. إلخ».

رابعا:

المرأةُ المُسلمَة أختا

- صفية بنت عبد المطلب. [إخت الحمزة اسد اللّه]
- فاطمة بنت الخطاب. [أختا الفاروق عمر]
- فاطمة بنت الوليد. [اخت سيف اللّه خالد]
- سَقانة بنت حاتم الطائى. [أخت عدي بن حاتم]
- الفارعة بنت أبى الصلت. [أخت أمية بن أبى الصلت]
- فاطمة بنت عتبة بن ربيعة. [أخت هند بنت عتبة]

الأخت المثالية

نراها تسعى إلى توحيد الصف، والعمل على التئام الشمل كلما دب الخلاف.

وهى التى تسعى إلى تشجيع الأبطال، وشحذ الهمم.. وتسعى إلى حمل السلاح عندما يدعو الداعى حَىّ على الجهاد.

وقد بلغ من رجاحة عقلها، وقوة شخصيتها أن يتوقف تدبير الأمور ووضع الخطط على رأيها ومشورتها.

وهى حاملة مشعل النور والهداية لمن حولها وهى الصابرة المحتسبة التى تقدم فى سبيل الله كل مرتخصٍ وغالٍ راضية بما ينالها فى سبيل الله، ورفع راية الحق.

وإليك نماذج للأخوات المسلمات اللاتى حملن الراية وكن حول الرسول ﷺ.

1 ـ صفية بنت عبد المطلب

أخت الحمزة

عمة الرسول ﷺ .. وأم الزبير بن العوام..

وشقيقة «حمزة أسد الله» عم النبى ﷺ وحبيبه.

أسلمت مع الرعيل الأول ممن آمن بالنبى الكريم، وهاجرت فيمن هاجر إلى يثرب.

الصابرة المحتسبة:

قلّ فى نساء العرب من تجاريها فى كرم مَنْبت أو كرم فرع! وهبها الله قوة إيمان، وصبرًا على الشدائد، وتضحية فى سبيله! وكانت مثالًا للأخت الصابرة المحتسبة الراضية بقضاء الله!

ففى «غزوة أحد» عندما تخلى «الرُّماة» عن مواقعهم طلبًا للغنائم مخالفين بذلك أمرَ الرسول ﷺ، أتاهم عدُّوهم من خلفهم.

وكانت «هند بنت عتبة» زوج أبى سفيان، وأمُّ الخليفة معاوية من بعد، قد خرجت من جيش المشركين لتثأر لأبيها وعمها اللَّذَين قتلهما حمزة فى غزوة «بدر».

وراحت تغرى عبدَها «وحْشيًا» إن هو تربص لحمزة وقتله فله من المال ما يشَتهِي.. وكان ما أرادت «هند» فقد رمى «وحشى» حمزة برمحه كما يفعل الأحباش فخر حمزة صريعًا!!

وجرى وحشى إلى مولاته التى كانت ترقص فى رهط من عقائل قريش وهن يضربن لها بالدفوف تحمسيًا لرجال قريش...

فأسرعت معه وقد حمل البشرى إليها، وراحت تشق صدر الحمزة وتنتزع كبده وتلوكه بأسنانها تشفيًا وانتقاما ومبُالَغَةً فى الثأر!

وبلغ الخبرُ «صفية» أختَ الشهيد... أسد الله، فأقبلت على ساحة الموقعة تبحث عنه...

رأها الرسول ﷺ ... وعلم أن عمته ستواجه موقفا صعبا إذا هى رأت حمزة على تلك الحالة!

فذهب إليها ولدها وقال لها فى صوت هادئ حزين:

– أىْ أُمّى، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى!

فقالت من فورها فى هدوء وثقة:

– ولم؟ فقد بلغنى أنه مُثِّل بأخى؛ وذلك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، ولأصبرنَ صبرًا جميلًا، ولأحتسبنّ إن شاء الله!

وعاد الزبير يخبر الرسول ﷺ بما هى عليه من صبر وثبات ويحمل مقالتها إلى رسول اللهّ ﷺ.

فقال له الرسول: «**خلِّ سبيلهَا**».

وتقف صفية فى تجلد وإباء، تلقى على الشهيد نظرة وَدَاع وهى تقول: «عليك صلاة الله يا أبا عمارة، وغفر الله لك، نحن قوم عادتنا القتل والشهادة!! لا حول ولا قوة إلا بالله.. وإنا لله وإنا إليه راجعون... حسبى الله ونعم الوكيل... وغفر الله لك ولى وجزاك جزاء عباده المخلصين».

وتمر الأيام ويظل ثباتها «يوم أحد» مثلا عاليًا فى الصبر والجلد.. إن حياة صفية كلها دروس...

بطولة المرأة وبطولة الرجل:

ففى غزوة «الخندق» كانت مع النساء والصبيان فى حصن عليه «حسان بن ثابت» شاعر الرسول ﷺ...

إن الموقف فى «المدينة» خطير جدا فقد حوصرت من كل جانب... ويهود بنى قريظة قد خانوا العهد... وأصبحت المدينة مهددة من الداخل والخارج...

وهنا رأت صفية «يهوديًا» يطوف بالحصن.... فقالت لحسان: يا حسان، هذا اليهودى يطوف بالحصن.. ولا آمنهُ أن يدلَّ اليهود الذين من ورائنا على عوراتنا!!.. ترى ماذا فعل حسان؟

كان «حسّان» يخاف المعارك... ويفر من المواجهة.. فقال: ليغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب!

والله لقد عرفت قديما ما أنا بصاحب هذا الأمر، وما لى عليه طاقة!

إن نساء الرسول من أهل بيت صفة فى خطر... فيكف تسكت؟!

لقد أخذت عمودا من أعمدة الخيام، وخرجت من الصحن فهجمت على اليهودى فضربته بالعمود على ناصية رأسه فخر على الأرض..

وعندئذ عاجلته بضربات متلاحقة حتى أجهزت عليه.. ثم رجعت إلى الحصن وألقت العمود من يدها!! ثم عادت إلى «حسان» وقالت له:

– يا حسان! ها قد قتلت اليهودى.. انزل فاسلبه[1]، فإنه لم يمنعنى من ذلك إلا أنه رجل وأنا امرأة!

فقال الشاعر: والله ما بى حاجة إلى سَلَبَه يا ابنة عبد المطلب!

لقد كانت صفية حول الرسول فى خدمة الدعوة بقوة التجلد وجمال الصبر والنجدة وسداد الرأى، والدفاع عن الحرمات!

لقد شاءت الأقدار أن تعرض بطولة المرأة وبطولة الرجل فى كفتى ميزان فى حادثة واحدة، وفى موقف واحد تخلى الرجل فيه عن الشجاعة التى لا ينتظر صدورها إلا من مثله، ونزل راضيا عن موقف البطل ليتركه لامرأة كان ينتظر منها أن تكون دونه شجاعة. وهنا لا يتأخر التاريخ لحظة عن أن يسجل للمرأة شجاعتها وإقدامها وبسالتها فى موطن تخاذل عند الرجل! فلنفتح أى كتاب من كتب التاريخ أو السيرة أو الأخبار أو المغازى، أو التراجم والطبقات فإننا لاشك واجدون قصة صفية بنت عبد المطلب مع الجاسوس اليهودى الذى راح يتجس لينال عورة من المسلمين.

إن ابن هشام يسجل حادثة صفية مع اليهودى نقلا عن المؤرخ ابن إسحق.

ويحفظ التاريخ لصفية هذا المقام للتتأس به المرأة على مر السنين والأعوام!

وما يزال جواسيس اليهود فى كل مكان يتربصون بنا، وبعدون العدة لإقامة دولتهم على أشلاء ضحايانا، فهل يعيد التاريخ نفسه لنجد بين صفوف نسائنا من تتصدى لأولئك الجواسيس؟!

تريد أن تكون هناك فى كل موقع «صفية» يسجل التاريخ شجاعتها وإقدامها وبسالتها!!

إن تاريخ «صفية» ينادى كل عربىّ وعربية: افتحوا عيونكم، واحذروا المخاطر من حولكم!

---

(1) السَّلَب: ما مع القتيل من مال وسلاح. ومن المبادئ التى سادت القتال بين المسلمين وأعدائهم أن «من قتل قتيلا فله سلبه».

2 ـ فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية

أخت الفاروق عمر

كانت من المبايعات الأوليات.

أسلمت قبل أخيها.. وكانت تخفى إسلامها منه... عاشت فى خدمة الدعوة... ولقيت ما لقيت فى سبيلها! كان «خَبَاب بن الأَرَتّ» يتردد عليها هى وزوجها «سعيد بن زيد» يقرئهما القرآن... وكان زوجها يحفظ معها أولا باول ما يتلى عليهما من آيات الله! ويذكر الرواة ما كان من أمر إسلام أخيها «عمر بن الخطاب» فهو حتى تلك اللحظة كان ما يزال على كفره حتى إنه ليخرج متقلدا سيفه يريد أن يقتل النبى ﷺ.

وعندئذ يلقاه رجل من «بنى زهرة» ويسأله عن وجهته؛ فيخبره بما عزم عليه من قتل «**محمد**» ﷺ، لكن الرجل يحذره بطش بنى هاشم وبنى زهرة إنْ هُو أقدم على فعلته! ويلفته إلى أمر عجيب أوْلى به أن يفكر فيه!

ويتساءل «عمر» عن ذلك الأمر العجيب؛ فيجيبه الرجل: أَجْدَرُ بك أن تذهب إلى أختك وزوجها فقد تركا دينهما وآمنا برب محمد!

ويُعَبّر عُمر وجهته.. ويذهب إلى بيت أخته وزوجها.. وعندهما «خباب بن الأَرَتّ»... خباب يتوارى فى البيت عندما سمع صوت عمر! «عمر» يتساءل عن ذلك الصوت الذى سمعه...! «فاطمة» تسرع إلى الصحيفة وفيها آيات من كتاب الله فتخفيها من عمر وتضعها تحت فخذها! وعندئذ يقولان له: ما سمعت شيئا.

قالك بلى والله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا فى دينه.. وبطش بزوج أخته «سعيد» فقامت فاطمة إليه لتكفه عنه فضربها فشجها... حتى سال دمُها على وجهها.. وكانت المفاجأة إعلان «فاطمة» و «سعيد» أمام «عمر» أنهما قد أسلما وآمنا بالله ورسوله، فليفعل ما بدا له!

وإن كان يرد شرا قتلناه بسيفه.. فقال رسول الله ﷺ «**ائذن له!**».

فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه، ثم جيذه جيذة شديدة وقال: «**ما جاء بك يا بن الخطاب. فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارة!**».

فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله!

فكبر الرسول ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم «عمر» مع إسلام «حمزة».

وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم.

وعاشت فاطمة لترى أخاها «عمر» خليفة للمسلمين وأميرًا للمؤمنين، وذكر ابن الجوزى أنها روت عن روسل الله ﷺ.

هذه هى فاطمة بنت الخطاب أخت عمر سبقته إلى الإسلام فكانت من وراء إسلامه.

وأراك تقولين: حقا رواء كل عظيم امرأة عظيمة[1]!

3 ـ فاطمة بنت الوليد بن المغيرة

أخت خال بن الوليد

أسلمت يوم الفتح، وبايعت؛ وهى زوج الحارث بن هشام. قال ابن عساكر: فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، أخت خالد، لها صحبة، وخرجت مع زوجها الحاث إلى الشام، واستشارها خالد أخوها فى بعض أمره وهو الذى دوخ الفرس والروم.

فعندما جاء عزل أخيها من عمر بن الخطاب، أقبل عليها يستشيرها فقالت له رأيها... فقبل خالد رأسها وهو يقول لها: صدقت والله، فتم على أمره، وأبى أن يكذب نفسه!

روت على النبى ﷺ حديث الإزار الذى أخرجه العقيلى «أنها كاتب بالشام تلبس الجباب من ثياب الخز، ثم تأتزر؛ فقيل لها: ما يغنيك عن هذا الإزار؟

فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأمر بالإزار».

وهكذا تكون الأخوة الصادقة... تبادل النصح والمشورة.

---

(1) المراجع: سيرة ابن هشام، المجتنى لابن الجوزى، طبقات ابن سعد، الصواعق المحرقة لابن حجر، الإصابة لابن حجر، الاستيعاب لابن عبد البر، المستدرك للحاكم.

فخالد بن الوليد سيف الله المسلول يلجأ إلى أخته فاطمة ليأخذ رأيها فى أخطر ما واجهه في حياته، وفاطمة تصدقه المشورة والنصيحة.

وهكذا تضرب المثل فى دنيا الأخوات والإخوة.

4 ـ سفانه بنت حاتم الطائى[1]

أخت عدي بن حاتم

والبلاغة والحسن والجود والكرم، ومكارم الأخلاق، وكيف لا.

وأبوها حاتم الطائى الذى يضرب بكرمه المثل؟!ومن شابه أباه فما ظلم! قال لها أبوها ذات يوم:

يابنية، إن الكريمين إذا اجتمعا فى المال أتلفاه، فإما أن أعطى وتمسكى، وإما أن أمسك وتعطى؛ فإنه لا يبقى على هذا شىء!

قالت: فلا نتجاور.

فقاسمها ماله وتباينا.

تعرض قضيتها وتعرف بنفسها.

ذكرها ابن إسحاق فى المغازى قال:

أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم فى سبايا طيئ، فقدمت بها على رسول الله ﷺ فقامت إليه- وكانت امرآة جزلة[2] - فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد!

فقال: «**ومن وافدك**».

قالت: عدى بن حاتم؟

قال: «الفارّ من الله ورسوله؟!».

ومضى حتى مرّ ثلاثًا.

قالت: فأشار إلىّ رجل من خلفه: أن قومى فكلميه، قالت: يا رسول اللّه، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك!

قال: «**قد فعلت؛ فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك، ثم آذنينى**».

---

(1) الأغانى ص 93ج 16، وإنسان العيون ص 285 ج 2، وغرر الخصائص ص 12.

(2) يقال: جزل فلان أى: صار ذا رأى جيد قوى محكم.

قالت: وكسانى رسوله الله ﷺ، وحملنى، وأعطانى نفقة، فخرجت حتى قدمت على أخى، فقال: ما ترين فى هذا الرجل؟ فقالت: أرى أن تلحق به.

وأورد الخرائطى قصتها فى مكارم الأخلاق.

ويروى أنها قالت: يا محمد، هلك الولد، وغاب الوافد، رايت أن تخلى عنى، فلا تشمت بى أحياء العرب؛ فإنى بنت سيد قومى!

كان أبى يفك العانى (الأسير).

ويحمى الذمارِ (يطعمه).

ويُقْرِى الضيف (يطعمه).

ويشبع الجائع.

ويفرج عن المكروب.

ويطعم الطعام.. ويفشى السلام.

ولم يرد طالب حاجة قط.

أنا بنت حاتم الطائى.

فقال لها رسول الله ﷺ : «**يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميًا لترحمنا عليه، خلوا عنها؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق**»، ثم أسلمت وحسن إسلامها[1].

وامتن عليها بقومها، فأطلقهم تكريما لها!

فاستأذنته فى الدعاء، فأذن لها، وقال لأصحابه:

أصاب الله ببرك مواقعه!

ولا جعل لك إلى لئيم حاجة!

ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سببا فى ردها.

سفانة من رواء إسلام أخيها:

فلما أطلقها رجعت إلى عدى، وهو بدومة الجندل؛ فقالت له يا أخى، إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله، فإنى قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلية، ورأيت خصالا تعجبنى:

(1) الإصابة. الأغانى – تاريخ ابن عساكر – تاريخ الطبرى. ذيل الأمالى للقالى. الروض الأنف للسهيلى.

رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود منه ولا أكرم؛ فإن يك نبيًا فلينلك فضله، وإن يكن ملكا فلن تزال فى عز ملكه!

فقال «عدى»: إن هذا الرأى والله!

وقدم «عدى» إلى رسول الله ﷺ فأسلم وأسلمت «سفانة» وسماها ابن هشام: «حازمة».

[سيرة ابن هشام]

5ـ الفارعة بنت أبى الصلت الثقفية

أخت أمية بن أبي الصلت

كل من عاصروها شهدوا لها بأنها كانت ذاب لب وعفاف وحسن وجمال.

وكان لأخيها منزلته فى الجاهلية فهو أمية بن أبى الصلت الشاعر المشهور.

قدمت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد فتح الطائف، فقال لها[1]: «**تحفظين من شعر أخيك؟**» فأنشدته أبياتا!!

فقال النبى ﷺ: «**كان مثلُ أخيك كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**».

وفى الإصابة أن النبى ﷺ قال: «**آمن شعره وكفر قلبه**» **فنزلت:** ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: 175].

روى عنها ابن عباس.

لم يمنعها عدم تلبية أخيها نداء الإسلام من أن تقدم على الرسول ﷺ وتعلن إسلامها، وتتخذ قرارها بنفسها.

وهكذا ينبغى أن تكون المرأة وبخاصة فى القضاية المصيرية فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى!

(1) ابو عمر فى الاستيعاب.

6ـ فاطمة بنت عتبة بن بيعة

أخت هند بنت عتُبة

بايعت النبى ﷺ يوم الفتح مع أختها هند بنت عتبة.

وكانت من ربات الفصاحة والبلاغة. فحين أسلمت جاءت رسول الله ﷺ وقالت:

يا رسول الله، قد كنت وما فى الأرض قبة أحب أن تهدم من قبتك!

رإنى اليوم وما فى الأرض فيه أحب إلىَّ بقاء من قبتك.

فقال رسول الله ﷺ :

«أما إن أحدكم لن يؤمن حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه»[1].

وهى التى كانت قبل إسلامها تعادى «بنى هاشم» وتقول: يابنى هاشم، لا يحبكم قلبى أبدًا!!

أين أبى؟

أين عمى؟

أين أخى؟

وتزوجت «فاطمة» «عقيل بن أبى طالب» وكانت ذات مال كثير[2]

(1) قال ابن حجر فى الإصابة. أسنده ابن منده، من طريق أبى بكر بن عياش، عن محمد ين عجلان، عن أمه، وعن فاطمة، قالت: قلت: يارسول الله، ما كان على ظهر الأرض خباء أحب غلى أن يذلهم الله من أهل خبائك.. الحديث».

(2) المراجع/ طبقات ابن سعد، أسد الغابة لابن كثير، البيان والتبيين للجاحظ.

خامسا:

المرأةُ المُسلمَة مبايعة ووافدة

- أميمة بنت رقيقة.
- معاذة جارية عبد اللّه بن أبى بن سلول.
- هند بنت عتبة.
- أسماء بنت يزيد بن السكن.
- حواء بنت يزيد بن السكن.
- أم رعلة القشيرية.

الأخت المثالية

أسرع النساء إلى رسول الله ﷺ يبايعنه على السمع والطاعة، وبايعهن الرسول ﷺ على الإيمان.

وقد بايع الرسول ﷺ الرجال على مثل ما بايع عليه النساء، فعن عائشة – رضى الله عنها– قالت:

كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ..﴾[سورة الممتحنة : 12].

وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط...

وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن يقول: «**انطلقن فقد بايعتكن، لا والله ما مست يده يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام**».

[أخرجه الشيخان والترمذى]

وإليك مزيدًا من تفصيل ما جاء بشأن مبايعة النساء وأركانها وما نزل فيها لتجددى بيعتك مع الله قولًا وعملا وسلوكًا....

1ـ أمتحان القبول
للمهاجرات المبايعات

يقول الله تعالى فى سورة الممتحنة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ ﴾ [الممتحنة: 12].

أخرج البخارى والترمذى وغيرهما عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر غليه من المؤمنات بهذه الآية إلى قوله: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

فمن أقرت بهذا الشرط من المؤمنات قال لها النبى ﷺ : «**قد بايعتك**» كلامًا، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط من المبايعات، ما بايعهن إلا بقوله: «**قد بايعتك على ذلك**» ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ كان هذا يوم فتح مكة أتين يبايعنه ﴿ وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ كما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات.

﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ أى: لا يلحقن بأزواجهن ولدًا ليس منهم.

قال ابن عباس: كانت الحرة تولد لها الجارية (الأنثى) فتجعل مكانها غلامًا.

﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ أى: فى كل ما هو طاعة لله وإحسان إلى الناس، وكل ما نهى عنه الشرع.

قال المقاتلان[1]: عنى بالمعروف: النهى عن النوح، وتمزيق الثياب وجز الشعر، وشق الجيوب، وخمش الوجوه، والدعاء بالويل.

ومعنى القرآن أوسع مما قالاه.

أخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجة، عن أمية بنت رقيقة قالت: أتيت النبى ﷺ فى نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما فى القرآن ألا نشرك بالله شيئًا.. حتى بلغ: ولا يعصينك فى معروف فقال: «**فيما استطعتن وأطقتن**»، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، يارسول الله ألا تصافحنا؟ قال: «**إنى لا أصافح النساء، إنما قَوْلى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة**».

(1) هما: مقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان الأزدى المتوفى سنة 150 هـ.

﴿ فَبَايِعْهُنَّ ﴾ أى: التزم لهن ما وعدناهن به على ذلك من إعطاء الثواب فى نظير ما ألزمن أنفسهن من الطاعات. فهى مبايعة لغوية.

قال ابن الجوزى: **وجملة من أحصى من المبايعات إذ ذاك أربعمائة وسبع وخمسون امرأة، ولم يصافح فى البيعة امرأة، وإنما بايعهن بالكلام بهذه الآية.**

وهذه البيعة الثابتة بالسنة فى دين الإسلام فمن أنكرها فقد أنكر القرآن.

وهكذا ثبت ذلك فى الرجال، وهى على أنواع: بيعة الجهاد، وبيعة ترك السؤال، وبيعة قبول الإسلام؛ وبيعة عدم الفرار من الزحف.

وحج النبى ﷺ ومعه مائة ألف وأربعة وعشرون نفسا كلهم من المبايعين[1].

وإليك نماذج لأولئك المبايعات الصادقات.

2ـ أميمة بنت رقيقة

روت عن النبى ﷺ وكانت من المبايعات

وحديثها فى الترمذى وغيره أنها قالت: بايعت النبى ﷺ فى نسوة، فقال لنا: «**فيما استطتن وأطقتن**».

قلنا: الله ورسوله أرحم منا بأنفسنا!

ويقول ابن حجر فى الإصابة: وأخرج مالك الحديث مطولا عن ابن المنكدر، وصححه ابن حبان من طريقة، ولفظه:

«أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من الأنصار، فقلنا: نبايعك يا رسول الله، على ألا نشرك بالله شيئا... ولا نسرق... ولا نزنى... ولا نقتل أولادنا... ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا... ولا نعصيك فى معروف».

فقال ﷺ : «**فيما استطعتن وأطقتن**».

فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا.

هلم نباعيك يا رسل الله. (قال سفيان: يعنين: صافحنا). فقال: «**إنى لا أصافح النساء، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة**». [أخرجه مالك والترمذى والنسائى]

(1) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة.

وهكذا تظل أميمة بنت رقيقة تذكّر كل مسلمة بـ «بنود» البيعة التى تلتزم بتنفيذها كل من اتخذت الإسلام لها دينا فيما استطاعت وأطاقت.

إنها ستة مبادئ هى خلاصة الإسلام فى بساطته وسمو أهدافه.

فهل نعيد ترتيب الأوراق بعد وقفة متأنية مع النفس لنقوم من جديد بتجديد البيعة لله ولرسوله على هذه المبادئ؟!

وللشيخين وأبى داود عن عائشة رضى الله عنها: «ما مس رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا أن يأخذ عليها، فإذا أخذ عليها فأعطته قال: «**اذهبى فقد بايعتك**».

3ـ معاذة جارية عبد الله

ابن أبىّ بن سلول

حياتها تطبيق عملى لبنود المعاهدة والمبايعة على الرغم من أنا كانت أمة!

وتفصيل ذلك أنها عندما أسلمت وبايعت النبى ﷺ كانت عند عبد الله بن أبى بن سلول.

وكان عنده اسير فكان عبد الله يضربها لتمكنه من نسها رجاء أن تحبل فيأخذ فى ذلك فداء وهو العرض الذى قال الله عز وجل:

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: 33].

وكانت «معاذة» تأبى عليه وهى مسلمة!

وقال الزهرى: كانت مسلمة فاضلة، فإنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: 33].

ثم إنها أعتقت، وتزوجت بعد ذلك سهل بن قرطة. [أسد الغابة لابن الأثير].

لقد ملأ الإيمان قلبها، فصانت نفسها عن الحرام، ولم يفلح معها الإرغام وهى الأمة المملوكة، ولكنه الإباءِ.. إباء الإسلام، وسوف تظل مثلا فى العفة والتَّصادون على مدى الأيام.

نعم ستظل مثلا للمرأة المسلمة المستقيمة فى البيئة الفاسدة المنافقة الكافرة. إنها تتضم للركب المؤمن، وتعلن كلمة التوحيد، وتتحمّلُ الأذى والعذاب صابرة محتسبة، وتثور على سيدها فى سبيل الطهارة والعفة. إن عفافها وطهرها نموذج يحتذى.

إن المهمة الخبيثة لشياطين الإنس فى عصرنا دعوة المرأة إلى تجاوز المحظور.. إلى الفتنة.. إلى الزينة المحرمة.. إلى اللبس العارى.. إلى اللباس المثير؛ ومن ثم إلى تهييج

العواطف، وتلويث الفروج! إن حفظ الفرج هو حفظه من كل ما يدعو إلى إثارته وإثارة الناس نحوه.. إنه أكبر من ترك الزنا، بل هو حفظه عن كل مثيراته.

ويذكر القرآن الكريم أن السيدة مريم عندما أحصنت فرجها كانت أهلا لأن تحمل كلمة الله!

4ـ هند بنت عتبة

وصفها ابنها معاوية بن أبى سفيان بقوله: «**إنها فى الجاهلية عظيمة الخطر، وفى الإسلام كريمة الخبر**».

إنها بنت زعيم فى ناديها هو عُتبة بن ربيعة.

وزوجة زعيم فى قريش هو أبو سفيان بن حرب.

وأم زعيم فى بنى أمية هو: معاوية بن أبى سفيان.

وأمها سيدة من سيدات قومها هى صفية بنت أميّة ابن حارثة.

ومن أجل هذا يقول عنها الإمام ابن عبد البر: «كانت امرأة لها نَفْسٌ وأَنَفَة».

وكما كان عمر – رضى الله عنه – شديدا على المسلمين قبل إسلامه، كذلك كانت هند حتى أطلق عليها «آكلة الأكباد».. وإذا كانت قوة شخصيتها قد شانتها قبل الإسلام فى ظلمات الجاهلية، فقد زانتها قوة شخصيتها فى أضواء الإسلام.

وبعد أن أسلمت هند، واستقامت على الطريق نجد أنفسنا نمر مر الكرام ونحن نقلبُ صفحات ماضيها يوم راحت تثأر لمقتل أخيها شيبة، وأبيها عتبة وتحرّض غلامها وحشيا على الثأر، وتُظْهر من الشماتة لمصرع سيد الشهداء حمزة ما يفوق الوصف، ويثير الغيظ والمرارة فى النفس! لكنّ رحمةَ الله وسعت كل شىء!

فقد ظلت هند على كفرها حتى تم فتح مكة، وأسلم زوجها.. وراحت تفكر من جديد فيا يمن أن تصنعه!!

لقد كانت تخشى إهدارَ دمها نظرًا لما كان منها فراحت لأول مرة تشاهد جموع المسلمين وهم يصلون حول الكعبة عقب الفتح فتأثرت بما رأت، وهنا قالت: إنى أريد أن أبايع محمدًا!!

فقيل لها: فاذهبى برجل من قومك معك.

فذهبت إلى «عمر» فاستأذن لها؛ فدخلت وهى متنقبة، والرسول ﷺ لا يعرفها فأعلنت إسلامها.

وبإعلان كلمة الإسلام حصنت نفسها، وعصمت دمَها، وحفظت حياتها!!

يقول ابن عبد البَرَ فى الاستيعاب: «ثم ختم الله لها بالاسلام، فأسلمت يوم الفتح».

ويقول النووى فى تهذيب الأسماء واللغات: «أسلمت فى الفتح بعد إسلام زوجها أبى سفيان بليلة، وحسنَ إسلامها، وأقرهما النبى ﷺ على زواجهما».

والذى يعنينا هنا تلك الصفحة المضيئة ن حياتها بعد أن أسلمت ووسعتها رحمة الله منذ أن بأيعت الرسول ﷺ.

يقول الإمام الطبرى: «لقد دخَلت عليه متنقبة متنكرة بسبب ما صنعت فى حمزة، ولأنها كانت تخاف أن يؤاخذها على ذلك. وبدأ الرسول ﷺ يقول للنساء - وهى بينهن- «**تبايعن على ألا تشركن بالله شيئًا ولا تسرقن**» وهنا لم تمل هند نفسها أن قالت: إنى كنت أخذ من مال أبى سفيان...

إنها كانت تحس بأن زوجها أبا سفيان بخيل، وكانت تأخذ من ماله ما تحتاج إليه.

وهنا عَرفها الرسول ﷺ فقال: «**وإنك لهند بنت عتبة**».

أجابت: أنا هند بنت عتبة فاعفُ عما سلف عفا الله عنك. واستمر الرسول ﷺ فى المبايعة قائلًا: «**ولا تزنين**».

وسارعت هند بتعليقها الرائع نقول: وهل تزنى الحرة؟!

وواصل الرسول ﷺ مبايعته قائلا: «**ولا تقتلْن أولادكن**».

فعلقت هند بقولها: قد ربّيناهم صغارًا، وقتلتَهم يوم بدر كبارًا، فأنت وهم أعلم!

وهنا ضحك عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فبالغ فى الضحك ثم قال الرسول ﷺ «**ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجكن**».

فقالت هند: والله إن إتيان البهتان لقبيح!

ثم قال الرسول ﷺ : «**ولا تعصيننى فى معروف**».

فعلقت هند بقولها: ما جلسنا هذا المجلس، ونحن نريد أن نعصيَك فى معروف!».

وهنا تتجلى شخصيتها القوية فى الإسلام وهى تسائل وتحاور وتستفهم وتراجع!!

ويتجلى صدقها حين عادت إلى بيتها بعد أن بايعت رسول الله ﷺ فوجدت فى ركن من البت صنما كانها لم تلحظة منذ حين، فأقبلت عليه مغيظَة محنقة، كأن لها عنده ثأرًا، وتناولت

قدومًا، وجعلت تحطمه قطعة قطعة، وهى تخاطبه بقولها: كنا منك فى غرور.. كنا منك ف غرور!!

لقد علمها الإسلام أن الرجوع إلى الحق فضيلة، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال!

ولقد حاولت التكفير عما فعلت فى جاهليتها فأسهمت فى الجهاد مع المسلمين، وقد اشتركت مع زوجها أبى سفيان فى غزوة اليرموك المشهورة وأبلت بلاء حسنا.

وأعود فأذكر للقارئ الكريم تلك الصورة التى تصورها وهى تقف بين عهدين والتى ذكرها ابن سعد فى طبقاته حيث قال:

لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة، ونساء معها، وأتين رسول الله وهو بالأبطح فبايعنه فتكلمت هند فقالت:

يا رسول الله، الحمد الله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه، لتنفعنى رحَمُك.

يا محمد، إنى امرأة مؤمنة بالله، مصدقة برسوله.

ثم كشفت عن نقابها وقالت:

أنا هند بنت عتبة.

فقال: «**مرحبا بك**».

فقالت: والله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إلى من أن يذلّوا من خبائك، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحبّ إلىّ من أن يعزوا من خبائك!

فقال رسول الله ﷺ: «**وزيادة**».

وقرأ عليهن وبايعهن.

فقالت هند من بينهن:

يا رسول الله، نماسحك؟

فقال: «**إنى لا أصافح النساء، إن قولى لمائة أمرأة مثل قولى لامرأة واحدة**»[1].

ونقود هند النسوة المسلمات لصد هجوم الروم يوم اليرموك بأعمدة الخيام بعد أن ذاقت حلاوة الإيمان والإسلام.

وتعيش هند حتى السنة الرابعة بعد الفتح وعندئذ تلحق بربها، رحمها الله، وعفا عنها.

(1) أخرجه مالك والترمذى والنسائى.

5ـ أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية

محدثة فاضلة ومجاهدة جليلة. كانت من ذوات العقل والدين والخطابة حتى لقبوها بـ «خطيبة السناء»، ووافدة النساء إلى رسول الله ﷺ.

وهى بنت عم معاذ بن جبل، وكانت تكنى «أم سلمة» الأنصارية.

أتت النبى ﷺ وهو فى أصحابه فقالت:

بأبى أنت وأمى يارسول الله!

أنا وافدة النساء إليك.

إن الله عز وجَلَ بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك.

وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم!

وإنكم – معشر الرجال – فُضّلتم علينا فى الجُمَع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله – عز وجل – وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو مجاهدا، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أفلا نشارككم فى هذا الأجر؟!

فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه لكهِ ثم قال: «**هل سمعتم بمقالة امرأةٍ قطُّ أحسنَ من مساءلتها فى دينها من هذه**»؟

فقالو: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا!!

فالتفت النبى ﷺ إليها فقال: «**افهمى أيتها المرأة وأعْلمى من خلفك من السناء.. أن حُسْنَ تَبَعل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدلَ ذلك كله**»[1]. فانصرفت وهى تهلل[2].

وروت عن ﷺ 81 حديثا.

(1) حسن تَبَعُّل المرأة لزوجها : قيامها بواجب الزوجية. أشار إليه ابن الأثير فى مادة «بعل» بقوله: «ومنه حديث أسماء الأشهلية: «إذا أحسنن تبعُّل أزواجكن»إلخ.

(2) عزا الطوسى هذه القصة لأسماء بنت عبيد الأنصارية. وجعل ابن منده وأبو نعيم هذه القصة لأسماء بنت يزيد الأشهلية وقالا: إنها غير أسماء بنت يزيد بن السكن. وأما ابن عبد البر فجعل أسماء بنت يزيد بن السكن هى الأشهلية، وهى رسول النساء. ووافقه أبو نعيم. وأنكر على ابن منده. وجعل احمد بن حنبل أسماء بنت يزيد بن السكن هى الأشهلية.

وروى لها لها أبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومهاجر بن أبى مسلم وشهر بن حَوْشب.

وشهدت أسماء بنت يزيد «اليرموك» وقتلت يؤمئذ تسعة من الروم بعمود خبائها وشهدت الفتح[1].

6ـ حواء بنت يزيد بن السكن لأنصارية[2]

زوجة قيس بن الخطيم

نموذج رائع من نماذج الإيمان بالله ورسوله والتضحية فى سبيلهما.

أسلمت وبايعت النبى ﷺ بمكة قبل الهجرة فحسن إسلامها! ووافى زوجها «قيس بن الخطيم» الشاعر «ذا المجاز»[3]. فأتاه الرسول ﷺ ودعاه إلى الإسلام؛ فقال قيس: ما أحسن ما تدعو إليه! وإن الذى تدعو إليه لحسن! ولكن الحرب شغلتنى عن هذا الحديث!

فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا يزيد، إن صاحبتك «حواء» **قد بلغنى أنك تسىء صحبتها. قد فارقت دينَك فاتق الله واحفظنى فيها! ولا تعرض لها!**».

قال: نعم وكرامة!

أفعل ما أحببت.. لا أعرض لها إلا بخير!

ثم قدم قيس المدينة فقال:

يا حواء، لقيت صاحبك محمدًا فسألنى ان أحفظك فيه، وأنا والله وافٍ له بما أعطيته، فعليك بشأنك؛ فوالله لا ينالك منى أذى أبدًا.

فاظهرت حواء ما كانت تخفى من الإسلام، فلا يعرض لها قيس بن الخطيم، فيكلّم فى ذلك، ويقال له: يا أبا بزيد، امرأتك تتبع دين محمد فيقول قيس: قد جعلت لمحمد أن لا أسوءها وأحفظه فيها[4]!

---

(1) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى: الاستيعاب لابن عبد البر، الإصابة لابن حجر، أسد الغابة لابن الأثير. سير أعلام النبلاء للذهبى.

(2) فى طبقات ابن سعد: «بنت زيد». وفى الأغانى وأسد الغابة والإصابة: «حواء بنت يزيد بن سنان» وفى الاستيعاب : «حواء بنت يزيد بن السكن».

(3) سوق من أسواق مكة. مثل عكاظ، ومجنة: كان ملتقى الشعراء والوفود.

(4) لمزيد من التفاصيل، انظر: طبقات ابن سعد، الاستيعاب لابن عبد البر، الإصابة لابن حجر، أسد الغابة لابن الأثير.

7ـ أم رعة القشرية

لها حديث أورده المستغفرى من طريق، وأبو موسى من طريق أخر عن ابن عباس: أن امرأة يقال لها: «أم رعْلة القُشيْرية» وفدت على النبى ﷺ، وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة فقالت:

السلام عليك يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته. إن ذوات الخُدُور[1]..

ومَحَلّ أُزر البُعُول[2]..

ومُربيَاتُ الأولاد..

ولا حَظَ لنا فى الجيش..

فعلّمنا شيئا يقربنا إلى الله – عز وجَلّ

فقال: «**عليكن بذكر الله آناء الليل واطراف النار وغض البصر.. وخَفْض الصوت..**».

وفيه: قالت: يا سول الله، إنى مُتَيّنة[3]، أُقَيّن النساء وأزينهن لأزواجهن، فهل هو حُوبٌ[4] فأثبط عنه[5]؟!

فقال لها رسول الله ﷺ:

«**يا أم رِعْلة، قَينيهن، وزيّنيهن إذا كسَدن**».

لقد غابت حياة الرسول ﷺ ثم أقبلت فى أيام الرّدّة بعد وفاة النبى ﷺ إلى المدينة، فحزنت عليه حزنا شديدًا، وأخذت بالحسن والحسين تطوف بهما أزقة المدينة وهى تبكى بكاء مرّا، تثيه يرثاء مؤلم منه:

يـا دار فـاطـمـة الـمـعـمـور ساحتها هيجت لـى حُـزْنًـا حُييت مـن دار!

---

(1) الخُدُور: جمع خدر، وهوالسَّتر بعد للمرأة فى ناحية من البيت.

(2) البعول: جمع بعَل: الزوج، والأرز جمع إزار، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن يذكر ويؤنث.

(3) مُقَنة: مزينة للسناء.

(4) حوب: إثم. وقد جاء فى التنزيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

(5) يقال: ثبط عن الشيء: عوّقه وبطأ به. ومنه فى التنزيل العزيز: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾.

فهاجت المدينة مأتما فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وأهلها يبكون[1]! وفى قصتها دروس وعظات بالغات: إنها تبدأ بتحية الإسلام..

وتحدد دور النساء: ذوات الخدور.. محل أُزُر البعول.. ومربيات الأولاد..

لكنها تأسى لعدم اشتراكها فى الجيش، وتسأل الرسول ﷺ أن يعلمها ما يعوضها عن هذه المنزلة التى يحظى بها الرجال، ويقربها إلى الله – عز وجَلّ.

وخير ما يقربهن إلى الله.. ذكره آناه الليل وأطراف النهار وغض البصر.. وخفض الصوت.

ونجد فى قصتها وفاء وانتماء وولاء للبيت النبوى.. أليست نموذجا للنساء الخيرات؟

(1) أسد الغابة لابن الأثير، والغصابة لابن حجر.

سادسا:

المرأةُ المُسلمَة مهاجرة

- أم سلمة رضـي اللّه عنها.
- أم حبيبة رضـي اللّه عنها.
- أسـمـاء بـنـت عـمـيـس.
- ليلى بنت ابى حثمة بن حذيفة.
- الشفاء بنت عبد اللّه القرشية.
- فاطمة بنت قيس القرشية.

ذكريات كفاح

تألقت فى تاريخ المرأة المؤمنة أسماء نساء هاجرن إلى الله ورسوله!! وبقيت ذكريات كفاحهن ونضالهن نورًا يضىء الطريق لكل مسلمة هدفها أن تجمع بين عزة الدنيا ونعيم الآخرة.

وقد روى عن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه -قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى.. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو أمرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

وإليك نماذج من أولئك ما هاجر إليه» [1].

---

(1) اتفق عليه الشيخان: البخارى ومسلمّ من صحابى واحد، وهذا النوع اعلى انواع الحديث فى الصحة والقبول.
وكان مشايخنا يستحبون البداءة به فى الكتب تنبيها للطالب على تصحيح النية، وهو أصل عظيم من اصول الدين، وقاعدة كبيرة من قواعد الشرح المبين.

1ـ أم سلمة

أم المؤمنين

كان أول المهاجرين: «أبو سلمه، وزوجه، وابنه»، فلما عزم على الخروج قال له أصهاره: هذه نفسُك غلبتَنَا عليها، أرأيت صاحبتَنا هذه؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد؟!

وأخذوا منه زوجته، فغضب آلُ أبى سَلَمة لرجلهم، وقالوا: لا نترك ابننا معها؛ إذ نزعتموها من صاحبنا! وتجاذبوا الغلام بينهم، فخلعوا يده، وذهبوا به! وانطلق أبو سَلَمة وحيدًا إلى المدينة!

فكانت «أم سلَمة» – بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها – تخرج كل غداة بالأبطح، تبكى حتى تُمْسى نحو سنة!

فَرقَّ لها أحد ذويها وقال:

ألا تُخرجون هذه المسكينة؟!

لقد فرقتم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لها: الحقى بزوجك إن شئت؛ فاسترجعت ابنها من عصبته وهاجرت إلى المدينة!!

لم تكن هذه هى الهجرة الأولى لأبى سلمة وزوجه هند..

إن لهما ماضيا مجيدا فى الإسلام فقد كانا من السابقين الأولين، وهاجرا معا إلى الحبشة حيث ولدت هناك ابنهما «سلمة».

ثم قدما مكة حتى ضاقت بالمسلمين وألحت فى اضطهادهم وهاهى ذى تلحق بزوجها بعد أن حيل بينه وبينها..

وضعت ابنها فى حجها، وركبت يعبرها إلى المدينة المنورة تريد زوجها، وما معها أحد من خلق الله، حتى إذا كانت بالتنعيم – على فرسخين من مكة – لقي عثمان بن طلحة فقال:

أين يا بنت أبى أمية؟

قلت: أريد زوجى بالمدينة.

فقال: هل معك أحد؟

فقلت: لا والله، إلا الله، وابنى هذا.

فقال: والله مالك مَتْرُك!

وأخذ بخطام البعير فانطلق معى يقودنى، فوالله ما صحبت رجلا من العرب أراه أكرم منه[1].

إذا نزل المنزل أناخ بى، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه ورحله، ثم استأخر عنى وقال: اركبى.

فإذا ركبت واستويت على بعيرة أتى فأخذ بخطامه، فقاد حتى ينزل بى، فلم يزل يصنع بى ذلك حتى قدم بى المدينة. فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء - وكان بها منزل أبى سلمة فى مهاجره- قال: إن زوجك فى هذه القرية، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف إلى مكة[2].

فكانت أم سلمة - بين المهاجرات- أول ظعينة دخلت المدينة، كما كانت أول مسلمة هاجات إلى الحبشة[3].

وكذلك كان زوجها ابو سلمة، عبد الله بن عبد الأسد المخزومى أول من هاجر إلى يثرب من أصحاب رسول الله ﷺ.

وفى المدينة عكفت على تربية صغارها، وتفرغ زوجها لمعركة الإسلام.

ولما خرج الرسول ﷺ فى غزوة ذى العشيرة فى جمادى الأول من السنة الثانية للهجرة، وهى السنة التى وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم بنى ضمرة، اختار أبا سلمة من بينى أصحابه، فاستعمله على المدينة.

وشهد مع الرسول ﷺ غزوة بدر الكبرى، وعقد له الرسول ﷺ لواء سرية لإخضاع بنى أسد عدتها مائة وخمسون رجلا وكان تحت لوائه: أبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبى وقاص.

---

(1) كان عثمان يومئذ على كفره، وإنما أسلم فى هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، فلما فتحت مكة، دفع الرسول إليه مفاتيح الكعبة وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة. وقتل عثمان شهيدا بأجنادين فى خلافة عمر - الروض الأنف: 1/ 285.

(2) السيرة 2/ 112، والإصابة 8/ 240، والاستيعاب: 4/ 1939.

(3) الإصابة: 8/ 240، والاستيعاب: 4/ 1939.

وحقق الفارس أبو سلمة ما أمره به النبى ﷺ من أخذ العدو على غِرّة، وقاد معركة ظافرة، وعاد غانمً[1].

وكان أبو سلمة يقود معركته، وفيه جرح خطير أصابه يوم «أحد» ثم التأم التئامًا سطحيًا، فلما أجهده النضال مع بنى أسد، عاد الجرح فنغر، وظل به حتى قضى عليه. وحضره النبى وهو على فراش موته، وبقى إلى جانبه يدعو له بخير حتى مات، فأسبل بيده الكريمة عينيه، وكبر عليه تسع تكبيرات، قيل له: يا رسول الله، أسهوت أم نسيت؟

فأجاب: «لم أسْهُ ولم أنْسَ، ولو كبرت على أبى سلمة ألفا، كان أهلا لذاك»[2].

وترك من بعده «أم سلمة، هند بنت زاد الركب» أولى المهاجرات إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

وتقدم إليها أبو بكر وعمر خاطبين فرفضت فى رفق!

ومن بعدهما بعث إليها النبى يخطبها فتمنت لو يتاح لها ذلك الشرف العظيم، لكنها اعتذرت وقالت: إنها غَيْرى، مسنة، ذات عيال..

فأجاب محمد – عليه الصلاة والسلام:

«أما أنك مسنة، فإنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك، وأما العيال فإلى الله ورسوله»[3]

وتم الزواج..

هذه قصة هجرة أحد أصحاب رسول الله ﷺ وزوجه إحدى الصحابيات الجليلات أردت أن أضعها كاملة أمام القارئ ليدرك كم كانت تضحية أبى سلمة، وكم تحمل آل أبى سلمة من التاعب النفسية!

رجل يفرق بينه وبين زوجه وبين ولده!

وزوجةٌ مسلمة يُفَرّق بينها وبين زوجها ووليدها..

ثم طفل برىء يفرق بينه وبين أبيه وأمه..

والقصة بدون تعليق تنطق بما عانه آل بنى سلمة، وحسبنا ما قالته أم سملة: «ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة!!».

---

(1) السيرة: 2/ 112.

(2) تاريخ الطبرى 2/ 177، والإصابة: 8/ 240.

(3) السّمط الثمين : 89 – وقد زوج النبى ﷺ «سلكو» بنت عمه حمزة. نسب قريش: 338.

إن أم سلمة لم يفتها أن تُشيهد بأنبل موقف لعثمان بن طلحة، إنه موقف ينم عن مروءة وشهامة ونبل ورجولة على الرغم من أنه لم يكن مسلمًا آنذاك!

إن كفره لم يمنع أم سلمة من أن تعترف له بالفضل، وتقر له بالوفاء، فالعربى كان ولا يزال صافته: النبل والشهامة والمروءة والرجولة ولا يوفتنا أن نحدثك عن عبقرية أم سلمة فى الإسلام....

أم سلمة

ودور القدوة العملية فى التربية

كل المؤرخين الإسلاميين تحدثوا عن عبقرية أم سلمة الفريدة عندما هبط المسلمون على مشارف مكة، ونزلوا عند الحديبية على بعد أميال من مكة، وفى قلوبهم ذلك الامل الحلو.. أن يطوفوا بالبيت العتيق!

ولكنهم عندما رأوا ناقة رسول الله ﷺ تبرك وسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «**لقد حبسها حابس الفيل**»- عندئذ- راحوا يفكرون:

هل يمنعون من دخول البيت الحرام؟!

وهل سيعودون مقهورين دون أن يدخلوا مكة؟!

وقطع عليهم هذا التساؤل ندأُو الرسول ﷺ فيهم.

«**قوموا فانحروا ثم حلقوا**»!!

ولكن كيف يعودون بلا طواف ولا سعى ولا عمرة؟! إن الأمل الحلو كان يداعب أفئدتهم.. لكن رسول الله ﷺ يأمرهم أن يتحللوا من إحرامهم!! ولكن المسلمين قد أصابهم الوجوم الوجوم فلم يحركوا ساكنًا، لقد أوقعتهم المفاجأة فى دهشة وحيرة ملكت عليهم عقولهم وأفئدتهم!

وهنا يدخل الرسول ﷺ على زوجه «أم سلمة» أم المؤمنين ويذكر لها ما لقى من الناس: لقد لقد قال لهم: «**قوموا فنحروا واحلقوا فوالله ما قام منهم أحد**».

وتفتق ذهنها عن عبقرية قَلَّ نظيرها فى التاريخ!

قالت: «يا نبى الله، أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تلكم أحد منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك».

إن الأمر اللفظى لم يحرك ساكن أحد، فليكن الأمر لعملىّ.. إنه هو الذى يحسم الموقف.

فخرج ﷺ فلم يكلم أحد حتى فعل ذلك.. نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعض».

[حديث صحيح وهو من تمام قصة الحديبية عند البخارى وأحمد].

فياله من درس تربوى خالد فقهناه من أم سلمة – رضى الله عنها– خريجة بيت النبوة– عن دور القدرة العملية فى التربية!!

2ـ أم حبيبة بينت أبى سفيان

من كرام من هاجر إلى الحبشة من النساء المسلمات بنت رجل من أكبر المعاندين والمعادين للدعوة آنذاك: «أم حبيبة بنت أبى سفيان» تاركة أباها وأمها وأخواتها والعز والمنعة فى ظلهم، ماضية إلى أرض الغربة والوحشة والتَّأى مع زوجها عبيد الله بن جحش.

وقد أَلِفْنَا أن تترك المرأة أهلها مرضاة لزوجها، ولكننا لَمَ نألف أن امرأة تعيش عربتها وحيدة بلا أهل ولا زوج حفاظا على دينها.

لقد تنصر زوجها، ودعاها إلى النصرانية، فرفضته وقاطعته، ولم تتخلّ عن دينها وهى فى غربتها بلا أهل!

وظلت تعانى آلام الغربة القاتلة، وآلام الترمّل، وآلام الوحدة والوحشة، ولا يجمعها مع مهاجرى الحبشة إلا رابطة العقيدة، بينما أبوها سيد مكة وصاحب الكلمة النافذة، والرأى المطاع، لكنها ترفض حمَاه، وتأوى إلى حمى الله ورعايته، صابرة صادقة مجاهدة، وكفى بالله وليًّا، وكفى بالله نصيرًا!!

إنها مثال للمرأة المسلمة تقف ضد زوجها يوم يحمل عقيدة غير عقيدتها، ودينا غير دينها، فتماريه ولو كان زوجها، وتقف معاكسة له فى طريقه.

وسيظل هذا شأن المرأة المسلمة ضد زوجها يوم يدعوها للانحراف والمعصية!!

يوم يدعوها إلى معصية الخالق، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق أيا كان!

يوم يدعوها للزينة الآثمة أمام الآخرين..

يوم يطلب منها التبرج فى الطريق..

يوم يدعوها إلى حضور الليالى الحمراء فى المواخير والمراقص والملاهى...

يوم يدعوها إلى رؤية الأفلام الماجنة.. إنها تمثل عنصر الاستقامة فى البيئة الفاسدة.. إن ابنتها الوحيدة «حبيبة» هى رفيقتها فى غربتها.. لا سبيل لها إلى أرض الوطن، وهناك أبوها يعلنها حربا شعواء على النبى ﷺ .

ومرت حقبة من الزمن وهى فى عزلتها الحزينة حتى شعرت ذات يوم بجارية من جوارى الناشى تطرق بابها مستأذنة.

لقد كانت تحمل رسالة النجاشى: «إن الملك يقول لك: وكَلِّى من يُزَوِّجك نم نبِىَّ العرب، فقد أرسل إليك يخطبك».

واجتمع المسلمون فى المساء بقصر النجاشى ليشهدوا إعلان الخطْبة والزواج، وتلقت أم حبيبة التهانى والهدايا، وأصبحت أما للمؤمنين.

واحتفلت المدينة المنورة فيما بعد بدخول بنت أبى سفيان بيت الرسول ﷺ .

ولقد آلمها أن تظل الحرب دائرة بين زوجها وأبيها. وكان كل أملها أن يتحقق وعد ربها: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 7].

وتم فتح مكة.. وأعلن أبو سفيان إسلامه، ونادى مناد فى مكة: «**من دخل دار أبى سفيان فهو آمن**» وعَادت الفرحة تغمر قلب «أم حبيبة» وسجدت لله شاكرة.

وفى مدينة الرسول ﷺ لقيت ربها فى خلافة أخيها معاوية.

3ـ أسماء بنت عميس

ذات الهجرتين

أسلمت أسماء قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم بن ابى الأرقم، بايعت الرسول ﷺ على السمع والطاعة، وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب.

قالت: يا رسول الله، إن رجالا يفخرون علينا ويزعمون أن لسنا من المهاجرين الأولين!

فقال: رسول الله ﷺ : «**بل لكم هجرتان: هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مرهنون بمكة ثم هاجرتم بعد ذلك**».

وروت عن النبى ﷺ سنين حديثًا.

قال الدار قطنى: انفرد بالإخراج عنها مسلم، ولم يذكر عدد ما أخرج لها من الأحاديث.

وكان عمر بن الخطاب يسأل أسماء بنت عميس عن تفسير المنام، ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره.

ويقال: إنها لما بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت إلى مسجد بينها وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دما[1]!!

وأخرج ابن السكن بسند صحيح عن الشعبى قال: تزوج على أسماء بنت عميس، فتفاخر ابناها: محمد بن جعفر، ومحمد ابن أبى بكر؛ فقال كل منهما: أنا أكرم منك، وأبى خير من أبيك، فقال لها علي: اقضى بينهما.

فقالت: ما رأيت شابًا خيرا من جعفر، ولا كهلا خيرا من أبى بكر، فقال لها على: فماذا أبقيت لنا[2]؟

4ـ ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة[3]

من فواضل نساء عصرها. أسلمت قديما وبايعت النبى ﷺ.

هاجرت الهجرتين جميعا مع زوجها «عامر بن ربيعة العنزى» ثم هاجرت إلى المدينة.

ويقال: «ليلى»: كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة جاءنى عمر وأنا على بعيرى؛ فقال: إلى أين أمَّ عبد الله؟!

فقلت: آذيتمونا فى ديننَا فنذهب فى أرض الله!

قال: صحبكم الله!

ثم ذهب فجاءنى زوجى: «عامر بن ربيعة».

فقال لما أخبرته خبره: ترجين أن يسلم!

وهذا ابنها عبد الله بن عامر يحدثنا عن قيمة تربوية عظيمة تهديها إلى الأمهات اللأتى يسرفن فى الوعود لأبنائهن ولا يَصْدقْن فى شىء منها!

(1) الإصابة، طباقت ابن سعدن الاستيعاب «أسد الغابة، سيرة ابن هشام.

(2) الإصابة، طبقات ابن سعد، الاستيعاب، اسد الغابة، سيرة بن هشام.

(3) انظر الإصابة فى تمييز الصحابة.

يقول ابن حجر فى الإصابة: روى الليث بن سعد عن محمد بن عجلان: أن رجلا من موالى عبد الله ابن عامر حدثه عن عبد الله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما ورسوله الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قاعد فى بيتنا فقالت: هاك، تعال أعطيك شيئًا.

فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – «**ماذا أردت أن تعطيه؟**»

فقالت: أعطيه: تمرًا.

فقال: «**أما إنك لو لم تُعْطيه شيئًا كُتبت عليك كِذبة**».

فلَيحذرَ أولئك الذين يَعدون ولا يوفون، ويقولون ولا يصدقون أن يفقد أبناؤهم ثقتهم بهم!!

6ـ فاطمة بنت قيس بن خالد
القرشية الفهرية

من المهاجرات الأوليات.. كانت ذات حسن وجمال وعقل وكمال.

وكانت زوجة لأبى عمرو بن حفص من المغيرة فطلقها.. فتقدم لخطبتها كثيرون منهم معاوية بن أبى سفيان فاستشارت النبى ﷺ فأشار عليها بـ «أسامة ابن زيد» فتزوجته فقالت: «لقد اغَبطت بنكاحى إياه».

وفى طلاقها ونكاحها سنن كثيرة مستعملة تناولتها كتب الحديث.

روت عن النبى ﷺ 34 حديثًا.

لها حديث متفق عليه. ولمسلم ثلاثة أحاديث.

وروى لها الجماعة، وهى التى روت حديث السكنى والنفقة للمطلقة بتة[1] وهى التى روت قصة الجسّاسة[2].

لقد عاشت فى خدمة الدعوة، وحسبها أن أصحاب الشورى عند قتل عمر بن الخطاب قد اجتمعوا فى بيتها.

وأن بيتها شهد خطبهم المأثورة. قال الزبير: كانت امرأة نجَوُدًا[3].

(1) تاريخ الإسلام: «النفقة فى الطلاق والعدة».

(2) وهى دابة – زعموا – أنها تجس الأخبار وتكون فى الجزائر، فتأتى بها الدجال.. وهى المذكورة فى حديث تميم الدارى.

(3) امرأة نجود: عاقلة نبيلة.

إن كل واحدة من هؤلاء الصحابيات لا تخلو من جانب مشرق وضّاء تسهم به فى نشر دينها وإعلاء شأنه، ورفع رايته.

وإذا طاب لنا أن تتحدث عن الهجرة والمهاجرين والمهاجرات، فإننا لا ننسى الدور الكبير الذى قام به الأنصار فى تهيئة الأمن والأمنت والمهاجرات، فإننا لا ننسى الدور الكبير الذى قام به الأنصار فى تهيئة الأمن والأمان للمهاجرين..

لقد وسعتهم قلوبهم قبل أن تسعهم دورهم وأموالهم!

لقد نزل رجل ضيفًا على رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى إحدى زوجاته: «**هل عندك طعام؟**»

فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء!

ثم قال لأصحابه: «**من يستضيف هذا الرجلَ؟**»

فقام رجل من الأنصار، وقال: أن أُضيفه يا رسول الله!!

فأخذ بيده إلى داره، وقال لزوجته: أكرمى ضيف رسول الله ﷺ .

فقالت: وهل عندنا إلا ما يكفى أولادنا؟!

فقال لها: أنيميهم، فإذا أعددت الطعام فأطفئى السراج، ثم وضع الطعام أمام الرجلَ، فجعل يأكل حتى شبع!

وبات الأنصارى وزوجته طاوبيين!

ولما اصبح الصباح، قال له رسول الله ﷺ : «**لقد عجب الله من صنيعك، فأنزل قوله:** ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

[رواه البخارى ومسلم والنسائى]

سابعا:

المرأةُ المُسلمَة مجاهدة

- نسيبة بنت كعب الأنصارية.
- أم حبيبة بنت العاص القرشية.
- أم حـــرام بـنـت مـلـحـان.
- حمنة بنت جحش الأسدية.
- هند بنت عمرو بـن حـرام.
- ســمــيــة أم عـــمـــار.

المرآة والمشاركة الايجابية

من يتأمل صفحات تأريخنا الإسلامى، يجد أن المرأة المؤمنة قد شاركت خلال مراحل النضال فى معارك مختلفة مشاركة إيجابية فعالة، غير مكثفية بالغضب، أو الشكوى، أو المقاومة السلبية.

وإننا لنراها فى كل معركة تقف بنفسها على تفقد الجرحى، ومداواتهم بنفسها، وتعايشهم فى مشاكلهم حتى لكأنها أم المجاهدين.

لقد كانت عنصرا إيجابيًا ناشطا قادرا على المشاركة فى تحمل المسؤوليات فأدّت واجبها فى ميادين النضال والكفاح على أكمل وجه واتمه، تعمل بين طعنات الرماح وضربات السيوف، وتساقط النبال كالمطر على المسلمين لإيصاف الغذاء والدواء والسقاء للمقاتلين.

لقد كانت تقوم بالحراسة، وإعداد الزاد والعتاد، وتقف مرابطة خلف الصفوف المناضلة تسقى العطش، وتداوى الجرحى، وتمرض المرضى، ثم تشترك فى المعركة عندما يدعو الداعى.

وحسبها فخرا أنها كانت أول شهيدة فى الإسلام، فما كان أول شهيد رجلا، ولكنها كانت السيدة سمية رضى الله عنها وأرضاها.

وها هى ذى نماذج منهن كن حول الرسول ﷺ ...

1ـ نسِيبَة بنت كعب الأنصارية

أما عُمارة

من واجب كل منا أن يسائل نفسه بين الحين والحين: ما المبادرات التى قمت بها لأعلاء دينى ورفع رايته؟ وأين أنا من أولئك السابقين الذين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة؟ هل أحذو حَذْوَهم؟ وهل أُضَحّى بالنفس والمال كتضحياتهم؟ وماذا قدمت الله ورسوله؟

إن مثل هذا التساؤل يربنا أين نحن على الطريق.. وعندئذ نواصل المسيرة، أو نُعَدّل المسار!

لا يكفى أن يكون أحدنا عضوا منتسبا إلى الإسلام، بل لابُدَ أن يكون عضوا عاملا نافعًا ينفع نفسه، وينفع أمته، ويلبى نداء الواجب.

إن أم عُمارة مثل من أمثلة الشجاعة الدائمة فى كل موقف.. إنها صورة للبطولة المتجددة التى لا تتخلى عن واجبها حين يدعوها الواجب!!

كل هدفها أن تجمع بين عزة الدنيا ونعيم الآخرة!! إنّها صحابية جليلة..

كانت إحدى امرأتين انضمتا إلى سبعين رجلا من الأنصار لمبايعة النبى ﷺ فى بيعة العقبة الثانية.. وكان معها زوجها زيد بن عاصم. وابناها منه: حبيب الذى قتله مسيلمة بعد، وعبد الله، وهو راوى حديث الوضوء، أما المرأة الثانية فهى أختها!

وإن دل موقفها على شىء، فإنما يدل على شجاعة القلب، ومروءة النفس، وصدق البلاء، وسرعة النجدة، وليس أدل على ذلك مما قاله الرسول ﷺ آنذاك لمبايعيه: «**الدّم الدّمَ، والهَدْمَ الهَدْمَ!**»[1].

«**أنتم منى، وأنا منكم، أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم**»[2].

تلك كانت البداية!!

ويلخص ابن سعد فى طبقاته صورة رائعة لمبادراتها فيقول:

---

(1) حديث صحيح رواه ابن إسحق فى المغزى (1/ 273 – 276) عن ابن هشام وأحمد (3/ 460 – 462) وبان جرير فى تاريخه (2/ 90 – 93) من طريق ابن إسحق.

(2) وأم قوله فى آخر القصة: أنتم منى وأنا منكم، فأخرجه ابن إسحق (1/ 277) عن عبد الله بن أبى بكر مرسلا فهو ضعيف، ورواه ابن جرير (2/ 93) من طريق ابن إسحق.

«أسملت أم عُمارة، وحضرت ليلة العقبة، وبايعت رسول الله ﷺ ، وشهدت أُحُدًا والحديبية وخيبر، وعُمْرة القَضيّة، وحُنَيْنًا، ويوم اليمامة، وقُطِعَت يدها وسمعتَ من النبى ﷺ أحاديث».

ولندع نسيبة تحدثنا عن مبادراتها كما رواها ابن سعد: قالت أم عُمارة نسيبة بنت كعب شهدت عقد النبى ﷺ البيعة له ليلة العقبة وبايعت تلك الليلة مع القوم.

وتقول عن موقفها يوم أحد:

خرجت أول النهار إلى أُحْد، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعى سقَاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه، والدولة والريح للمسلمين.

فلما انهزم المسلمون، انحزْتُ إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال، وأَذُبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمى بالقوس، حتى خلصَت إلى الجِراح!

وتسألها أم سعيد بنت سعد بن ربيع راوية الحديث عن ذلك الجرح الذى رأته على عاتقها غائرا أجوف فتقول:

أقبل ابن قميئة، وقدد ولى الناس عن رسول الله ﷺ يصيح: دُلّونى على محمد؛ فلا نجوت إن نجا!!

فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه كنت فيهم، فضربنى.

يقول عنها الإمام الذهبى:

هى الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية النجارية المازنية المدنية، كان أخوها عبد الله بن كعب من البدريين.

وكان أخوها عبد الرحمن من البَكّائين.

شهدت أم عمارة ليلة العقبة، وشهدت: أحدًا، والحديبية، ويوم حُنَين، ويوم اليمامة، وجاهدت، وفعلت الأفاعيل، روى لها أحاديث وقطعت يدها فى الجهاد.

ويقول الواقدى: شهدت أحدا مع زوجها، ومع ولديها من زوجها الأول.

خرجت تسقى، ومعها شَنْ[1]، وقاتلت وأبلت بلاء حسنا وجرحت اثنى عشر جرحًا.

ويروى الإمام الذهبى عنها أنا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لمُقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مُقام فلان وفلان**».

(1) الشن: القِربة الخَلَقُ.

ويقول ابن سعد: وكان يراها يؤمئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزةٌ ثوبَها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جُرحًا، وكانت تقول: إنى لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها، وكان أعظم جراحها، فداوته سنة، ثم نادى منادى رسول الله ﷺ : إلى حمراء الأسد[1]، فشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم، رضى الله عنها ورحمها.

ويروى ابن سعد على لسانها قالت:

رأيتنى، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فما بقى إلا فى نُفَيْر ما يتمون عشرة، وأنا وابناى وزوجى بين يديه نذب عنه، والناس يمرون منهزمين، ورآنى ولا تُرس معى، فرأى رجلا موليا ومعه ترس، فقال لصاحب الترس: أَلْق ترسك إلى من يقاتل، فألقاه، فأخذته، فجعلت أَتَتَرس به عن رسول الله.

وإنما فعل الأفاعيل بنا أصحاب الخيل، ولو كانوا رجّالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله.

فيقبل رجل على فرس فيضربنى، وتترست له، فلم يصنع شيئا، وولّى فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبى ﷺ يصيح: يابن أم عُمارة، أُمَّك، أُمَّك!

قالت: فعاوننى عليه، حتى أوردته شَعوبَ[2].

ويروى الإمام الذهبى على لسان ابنها عبد الله بن زيد قوله: جرحت يوما جرحًا، وجعل الدم لا يرقأ، فقال النبى ﷺ : اعصب جُرحك. فتَّقْبل أمى إلىَّ ومعها عصائب فى حقْوها[3]، فربطت جرحى، والنبى ﷺ واقف، فقالَ: «**انهض فضارب القوم**». وجعل يقول: «**من يُطيق يا أم عمارة!**»

فأقبل الذى ضرب ابنى، فقال رسول الله ﷺ : «**هذا ضارب ابنك**».

قالت: فأعترض له، فأضرب ساقه، قبرك.

فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه، وقال: «**استقدت**[4] **يا أم عمارة!**».

ثم أقبلنا نَعُلّه[5] بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبى ﷺ : «**الحمد لله الذى ظفّرك**»[6].

---

(1) على ثمانية أميال من المدينة. (ياقوت).

(2) أى قتلته. وشعوب: اسم من أسماء المنية.

(3) الحقو. معقد الإزراء. وفى الطبقات: «فى حقويها».

(4) استقدت: انتقمت.

(5) أى نتابع ضرب بالسلاح.

(6) للحديث بقية ذكرها ابن سعد...

دعاء النبى ﷺ لها ولولديها:

يروى الإمام الذهبى عن عبد الله بن زيد بن عاصم يقول: شهدت أُحُداً فلما تفرقوا عن رسول الله ﷺ دنوت منه أنا وأمى، نَذُبُّ عنه، فقال: «**ابن أم عُمارة؟**».

قلت: نعم، قال: «ارم».

فرميت بين يديه رجلا بحجر - وهو على فرس- فأصبت عين الفرس فاضطرب الفرس، فوقع هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة، والنبى ﷺ يبتسم.

ونظر إلى جُرح أمى على عاتقها، فقال: «**أمك! أمك! اعصب جرحها! اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة!**».

قالت: «ما أبالى ما أصابنى من الدنيا»؟!

تلك هى أم عمارة رفعت لواء الدين، ودافعت عن رسول رب العالمين، جرحت بأُحُد اثنى عشر جرحًا، فقدمت المدينة، وبها الجراحة.

ولقد رؤى أبو بكر - رضى الله عنه_ وهو خليفة يأتيها يسأل عنها.

وأُتِىَ عمرُ بن الخطاب - رضى الله عنه - بمروط، فيها مرط[1] جيد، فبعث به إلى أم عمارة.

ومضت الأَيام، وظلت نسيبة تخدم الإسلام، وتؤدى واجبها فى الحرب والسلام.

وشهدت مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وهى بيعة المعاهدة على الشهادة فى سبيل الله.

ولحق الرسول ﷺ بربه مع الرفيق الأعلى، وظهر العين مسيلمة الكذاب، وبهب الجميع المحاربته وفيهم حبيب بن زيد عاصم ولد نسيبة ويقع حبيب فى يد مسيلمة أسيرا، فيذيقه ألوان العذاب، ولكنه يظهر من الصبر والتجلد ما يخيب ظن مسيلمة فيه!

فيقول له مسيلمة: أتشهد أن محمدا رسول الله؟!

فيقول حبيب: نَعَمْ.

فيقول له: أتشهد أنى رسول الله؟ فيقول لا أسمع! فقطع مسيلمة جسم حبيب حتى مات!

وعندما عملت نسيبة بمصرع ابنها نذرت ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة، وخرجت إلى معركة «اليمامة» مع ابنها الآخر: عبد الله، وكانت حريصة على أن تقتل مسيلمة بيدها، ولكن القدر أراد أن يكون القاتل له: هو ابنها عبد الله الذى ثأر لشقيقه حبيب.

---

(1) كساء من خز أو صوف أو كتان.

وقد ذكر الواقدى ما أبتله فى هذه الحرب فقال:

«لما بلغها قتل ابنها حبيب على يد مسيلمة الكذاب عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تُقتل، فشهدت موقعة اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل مسيلمة، وقطعت يدها فى الحرب».

تقول أم عمارة: تقطعت يدى يوم اليمامة وأنا أريد قتل مسيلمة، وما كان لى ناهية – أى مانع– حتى رأيت الخبيث مقتولا، وإذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح بثيابه، فقلت له: أقتلته؟

قال: نعم.

فسجدت لله شكرا.

ويقول المؤرخون: إن «وحشيًا» قاتل حمزة اشترك مع عبد الله فى قتل مسيلمة.

رحم الله نسيبة رحمة واسعة، وهنيئا لها بهذا الرضا السامى، ورضى الله عنها وأرضاها!

2ـ أم حبيب بنت العاص

القرشية

يقول ابن عساكر فى تاريخه عنها: هى مجاهدة جليلة..

أدركت عصر النبى ﷺ وشهدت اليرموك.. وحَضَّت الرجال على القتال..

لما شد طرف من الروم على عمرو بن العاص، انكشف هو وأصحابه حتى دخلوا أول المعسكر وهم فى لك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا هزيمة وَلى فيها الظفر.

فنزلت النساء من التل بعَمُد يضربن وجوه الرجال.

وقادت أم حبيب الناس وهى تقول:

قَبَّحَ الله رجلا يفر عن حليلته..!

وقبح الله رجلا يفر عن كريمته..!

فترادّ المسلمون..

وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا إلى قريب من موْقعهم!

أرأيت ماذا كانت تفعل النساء فى صدر الإسلام؟!

أرأيت دورهن فى العمل على تحقيق النصر؟!

[تاريخ ابن عساكر]

3ـ أم حرام بنت ملحان

خالة أنس بن مالك، وأخت أم سُليم، وزوجة عبادة بن الصامت وهى الأنصارية النجارية المدنية.

ويقول ابن حجر فى الإصابة: قال أبو عمر - فى الاستيعاب-: لا أقف لها على اسم صحيح، وثبت ذلك فى صحيح البخارى وغيره عن طريق الموطأ لمالك عن إسحاق بن أبى طلحة، عن طريق الموطأ لمالك عن إسحاق بن أبى طلحة، عن أنس أن النبى ﷺ كان إذا ذهب إلى قُبَاء دخل على أم حَرَام بنت مَلْحان، فتطعمه، فدخل عليها فأطعمته، فنام، ثم استيقظ وهو يضحك.. الحديث فى شهداء البحر، وفى آخره: قال: فركبت «أم حرام» البحر فى زمن معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت.

وفى بعض طرقه فى البخارى عن أنس، عن أم حرام بنت ملحان، وكانت خالته - أن رسوله الله ﷺ قال فى بيتها[1]، فاستيقظ وهو يضحك، وقال:

«**عرض علىّ أناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة**».

قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله، ما يُحكك؟

فقال: «**عُرض علىَّ ناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالموك على الأسرة**».

قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم.

قال: «**أنت من الاولين**».

فتزوجها عبادة بن الصامت، فأخرجها معه، فلما جاز البحر، ركبت دابة فصَرَعتها فقتلتها!

قال ابن الأثير فى «أسد الغابة»:

وكانت تلك الغزوة غزوة «قبرس» فدفنت فيها، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن ابى سفيان فى خلافة عثمان، ومعه أبو ذر وابو الدرداء وغيرهم من الصحابة، وذلك فى سنة سبع وعشرين.

روت عنه ﷺ خمسة أحاديث.

وأُخْرج لها منها فى الصحيحين حديث واحد متفق عليه[2].

(1) قضى القيلولة حيث يشتد الحر، وكانت تجمعها بأمه دار واحدة.

(2) الإصابة (ج8 ص 189 - 190).

ويقول الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء:

حديثها فى جميع الدواوين سوى جامع أبى عيسى. كانت من علة القوم.

حدث عنها: أنسَ بن مالك؛ وغيره.

ويروى الإمام الذهبى أيضًا عن أنس قال: «دخل علينا رسول الله ﷺ ، ما هو إلا أنا وأمى وخالتى أم حرام، فقال: «**قوموا فلأُصَلّ بكم**» فصلى بنا فى غير وقت الصلاة».

4ـ حمنة بنت جحش الأسدية

أخت أم المومنين زينب.

كانت زوج «مُصعب بن عُمَيْر» فقُتل عنها يوم أُحُد! فتزوجها «طلحة بن عبيد الله» فولدَت له محمد وعمران.

قال أبو عمر فى الاستيعاب:

كانت من المبايعات، وشهدت أُحُدًا، فكانت تسقى العطشى، وتحمل الجرحى، وتداويهم.

وقال ابن سعد: أطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسَقْا[1] وهى والدة محمد بن طلحة المعروف بالسجَّاد.

إن حمنة – رضى الله عنها – نموذج رائع للتضحية والفداء..

وهى ابنة عم الرسول ﷺ .

وأها أميمة بنت عبد المطلب.

ولقد كان موقفها فى «أُحُد» مما تزل دونه أقدامُ الرجال.. قال المؤرخون: إنها كانت تغشى المعركة فتحمل الجريح، وتعود به حيث تأسو جراحه!

ولقد كانت «حمنة» رضى الله عنها مسلمة مثالية بكل ما فى الكلمة من معنى..

كانت مجاهدة صابرة محتسبة، فقدت زوجها «مصعب بن عمير» فى هذه المعركة، فرضيت بقضاء الله، واحتسبته عنده!

(1) الإصابة ج 7 ص 586. والوسق: مكيلة معلومة وهي ستون صاعا، والصاع خمسة أرطال وثلث: وحمل البعير أو العربة والسفينة.

وعوضها الله عنه «طلحة بن عبيد الله» أحد العشرة المبشرين بالجنة، فولدت له السيد التقى محمد بن طلحة المعروف بـ «السجّاد» وتمر الأيام والأعوام فإذا الناس يذكرون حمنة، ومصعبا، وطلحة بكل الخير..

لقد كانوا جميعا حول رسول الله ﷺ فى خدمة الدعوة الوليدة، يرفعون راية الإسلام، ويواجهون أعداءه وينشرون دعوته، أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون!

إذا تحدث الناس عن نساء فى القمة، فإن حَمنَة بنت جحش تتراءى لنا بينهن شامخة عالية القدر!!

قال ابن سعد فى الطبقات: أطعمها الرسول ﷺ من خيبر ثلاثين وسقا وهى والدة محمد بن طلحة المعروف بالسجّاد[1].

5ـ هند بنت عمرو بن حرام
زوجة عمر بن الجموح

امتلأ قلبها بالإيمان وحب الدين الجديد.. فراحت تؤيد صاحب الرسالة وتحرض ذويها على قتال المشركين فى أحد. وكان زوجها سيدا من سادات بنى سلمة، وشريفا من أشرافهم.

وعلى الرغم مما كان بزوجها من عرج - وليس على الأعرج حرج - فقد اندفع زوجها وراح يقاتل أعداد الله حتى استشهِد!

واستشهد ابنها خلاّد، وأخوها عبد الله فحملتهم على بعيرها وأتت المدينة لتدفنهم! ولمحتها أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - فقالت لهند: «عندك الخير.. ما وراءك؟».

قالت هند: «أما رسول الله ﷺ فصالح، وكل مصيبة بعده جلَلَ»

(أى: صغيرة هينة) واتخذ الله من المؤمنين شهداء!!

قالت عائشة: من هؤلاء؟

قالت: «أخى، رابنى خلاّد، وزوجى عمرو بن الجموح».

قالت: فأين تذهبين بهم؟

قالت هند: إلى المدينة أقبرهم فيها.

(1) الطبقات 8/ 175.

وزجرت أم خلاد البعير ليتابع مسيره، فما استطاع، فلما وجهته الميدان تحرك وأسرع حتى بلغ مكان المعركة، وهناك دفنهم الرسول ﷺ معا، وقال لها: «**يا هند، ترافقوا فى الجنة: عمرو أبن الجموح، وابنك خلاد، وأخوك عبد الله**».

ففرحت وقالت: يا رسول الله، «ادع الله أن يجعلنى معهم».

ألا ما أكبر قلبك يا هند!، وما أعمره بالإيمان! ومن ذلك الذى يحمل مثل هذا القلب فى دنيا الرجال؟!

يا عجبا!! امرأة تفقد زوجها، وابنها وأخاها فى يوم واحد، فلا يرتجف لها قلب، ولا تدمع لها عين!إنه إلايمان بالله ورسوله لا مكان فى قلبها للحزن، فهو عامر بالله وحب الشادة فى سبيله!

لقد كنت يا هند فى قمة الصبر والإيمان والثقة بما عند الله عندما ذكر الرسول ﷺ قتلاك فرحت تقولين: «يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى معهم» لست جازعة من الحياة، ولكنك راغبة فيما عند الله!

وإن نعجب فعجب لهذه الأسرة المسلمة التى كانت هند ترعاها وتسهر عليها.

زوجها «عمرو بن الجموح» يفد على رسول الله ﷺ قبل غزوة أحد شاكيا له موقف أولاده منه، إنهم يريدون منعه من الخروج نظرا لما به من عرج قائلين له: إن الله قد وضع عنك الجهاد، ولك عذرك! إنه مصاب فى رجله، والقرآن يقول: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: 61].

وما دام الحرج قد ارتفع عنه، فلا عليه إن هو لم يذهب إلى المعركة ولم يشترك فى القتال! لكنه يصر على تحقيق رغبته ويذهب إلى رسو الله ﷺ قبل غزوة أحد فيقول:

يا رسولَ الله،إن أولادى يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك، والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة».

وعرض الرسول ﷺ على أولاده أن يحققوا رغبته، فاستجابوا، وخرج، ونال الشهادة!

وهنا قال الرسول ﷺ : «**والذى نفسى بيده لقد رأيته وهو يطأ بعرجته فى الجنة**»!

لقد كان لعمرو أربعة أبناء يجاهدون معه!

فلنذكر دائمًا هذه الأسرة المسلمة التى أسهمت فر رفع رأية الإسلام. وكيف تُنْسى هند بنت عمرو ابن حرام.. إنها شخصية لا تُنْسى!!

وتمر الأيام ويظل زوجها عمرو بن الجموح رمزا للجود والتضحية فى سبيل الله.

روى البخارى فى الأدب المفرد، والسراج، وأبو الشيخ فى الأمثال، وأبو نعيم فى المعرفة عن جابر قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**من سيدكم يا بنى سلمة؟**».

قالوا: الجَدَ بن قيس، على أننا نُبَخّلُهُ. فقال بيده هكذا، ومدّ يده، وأى داء أدوأ من البخل؟ «**بل سيدكم عمرو بن الجموح**»[1].

قال: وكان عمرو بن الجموح يولم على رسول ﷺ إذا تزوج.

قال أحمد: «أتى عمرو بن الجموح النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه فى الجنة؟

قال: «**نعم**». وكانت رجله عرجاء حينئذ.

وقال ابن أبى شيبة فى أخبار المدينة: «**أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت حتى أقتل فى سبيل الله أمشى برجلى هذه فى الجنة؟**».

قال: «**نعم**».

وكانت عرجاء، فقتل يوم أحد هو وابن أخيه، فمر النبى ﷺ به فقال:

«**فإنى أراك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة**»[2].

وأمر رسول الله ﷺ بهما ومولاهما فجعلوا فى قبر واحد.

وكثيرا ما كان يردد ما أنشده له المرزبانى:

أتوب إلى الله سبحانه وأتغفر الله من ناره
وأنثى عليه بآلائه بإعلان قلبى وإسراره

وستظل هند بنت عمرو بن حرام نموذجا لفواضل نساء عصرها، يقول ابن سعد بن الطبقات:

أسلمت، وبايعت، وشهدت خيبر مع رسول الله ﷺ.

---

(1) الإصابة ج 4 ص 615.

(2) الإصابة ج 4 ص 617.

6ـ سمية

أم عمار بن ياسر

صورة مشرقة لأول شهيدة فى الإسلام!

زوج يأسر، وأم عمار!

استطاعت بإيمانها أن تتحدى فرعون هذه الأمة «أبا جهل». والكل يعلم من هو أبو جهل طُغْيانًا وغِلْظَةً!

كانت هى وزوجها وابنها عمار قد أُلْقِىَ بأجسادهم فوق الرمال الساخنة، لتتمكن السَّيَاط منها، وهم موثقو الأيدى والأقدام حتى عجزوا عن الحركة تماما.

لكنهم لم ينزلوا أمام هذا التعذيب عند إرادة أبى جهل، فلم يسمع من ياسر وابنه عمار غير الصمت والأنين، فلا يسعه إلا أن يضاعف التعذيب ليعلنا ارتدادهما عن دين الإسلام.

أما سمية فقد راحت تتحدى «أبا جهل» لا بالصمت والأنين ولكنها كانت ترد بعنف مؤكدة له أن لا أمل فى محاولته، وأنها قررت أن تثبت على إيمانها مهما كان الثمن!

ألم تستمع إلى رسول الله ﷺ عندما مر بهم فى العذاب: «**صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**»!!

إن كل عذاب يهون فى سبيل تلك الجنة!

ووجد أبو جهل نفسه وقد تحدته امرأة ضعيفة وهزت كبرياءه، وأذلت أنفه!

فماذا يفعل؟!

إن فى مواصلة التعذيب إطالة لهذا التحدى، فلم لا يعالجها بضربة قاضية؟

وكتب لها أروع صفحة من الخلود..

واستطاعت أول شهيدة فى الإسلام أن تجعل من موتها حياة للإيمان وللمثل وللمبادئ.

وكما كان موت سمية نموذجًا فذًا للبطولة، كذلك كانت حياة الفئة المؤمنة فى أقسى الظروف وأعنف الأحوال نموذجا عاليًا للبطولة النادرة.

يقولن ابن حجر فى الإصابة:

كانت سُمَيّة بنتحباط مولاة أبى حذيفة بن المغيرة بن مخزو موالدة عمار بن ياسر سابع سبعة فى الإسلام، عذبها أبو جهل وطعنها فى قلبها، فكانت أول شهيدة فى الإسلام.

وكان ياسر حليفا لأبى حذيفة، فزوجه «سُمَيّة» فولدت له عمارًا فأعتقه وكان ياسر وزوجته وولده منها ممن سبقوا إلى الإسلام.

ويقول ابن إسحاق فى المغازى:

حدثنى رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها آل بنى المغيرة على الإسلام، وهى تأبى غيره حتى قتلوها، وكان ﷺ يمر بعمار وأمه وأبيه وهم يُعذَّبون بالأبطح فى رمضاء مكة فيقول: «**صبرًا آل ياسر، موعد كم الجنة**»[1].

وسوف تظل سمية رمزا للتضحية فى سبيل إعلاء كلمة الله..

أليست كما يقول مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمّار، وسمية.

فأما رسول الله ﷺ وأبو بكر فمنعهما قومها. وأما الآخرون فألبسوا أدْراع الحديد، ثم صهِروا فى الشمس، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنهَا بحربة فقتلها[2].

وتظل سمية رمزا للتضحية والفداء فى سبيل الله، ويعيش عمار ليشهد قتل من قتل أمه، فالقاتل يقتل ولود بعد حين.

أخرج ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد قال:

أول شهيدة فى الإسلام «سمية» والدة عمار بن ياسر، وكانت عجوزًا كبيرة ضعيفة، وما قتل أبوِ جهل يوم بدر قال النبى ﷺ لعمار: «**قتل الله قاتل أمَّك**».

ولعل مما يلفت النظر أن يكون أول من دخل الإسلام امرأة!

وأول من استشهد فى الإسلام امرأة!!

فأين أنت من هذا الشرف العظيم؟! [رواه البخارى ومسلم والنسائى]

---

(1) فى ثبوت هذا السياق نظر: وعلته الإرسال، أخرجه أبن جرير فى تفسيره (12/ 113)، وأبو نعيم (9/ 140)، وأبو بكر الجصاص فى (أحكام القرآن) (3/ 236) من طريق أبى عبيدة بن محمد بن عثمان بن ياسر، وأخرجه الحاكم (2/ 357).

(2) أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة عن جرير، عن منصور، عن مجاهد، وهو مرسل، صحيح السند كما جاء فى الإصابة.

ثامنا:

المرأةُ المُسلمَة مداوية وآسية

- الـرّبـيـع بينت معوذ.
- أم سـنـان الأسلمية.
- أم زيـاد الأشجعية.
- كعيبة بـنـت سعد.
- أمية بنت قيس الغفارية.
- رفـيـدة الأنـصـاريـة.

المرآة المسلمة فى الوغى!

من يتابع السيرة العطرة يجد ان نساء العرب فى الإسلام لم يَدَعْن لرجالهن خَلَّة يستأثرون بها دونهن.

ولم يتركن سبيلا من سبيلا العظائم، ولا بابًا من أبواب المجد والمكارم إلا وكن السابقات إليه!

وإننا لنراهن قد جاذبن الرجال حبل البطولة، واصطلين نيران الحروب، فكن مؤبدات مناضلات!! وكم رأينا المرأة المسلمة تخوض الحرب لما دون القتال من إفاضة الرحمة، وبذل المعونة.

تخدم الجرحى وتقضى حقهم وتواسى فى الوغى من نكب بيدها الآسية المداوية تخفف آلام الجراح، وتمنح الثقة والطمأنينة لمن ذاقوا وبلات الحرب، بما منحها الله من جلال الصبر، وقوة الإيمان، فإذا اشتملت الحرب العوان عليها رأينها تفوق الأبطال وتناضل عن الرجال! وإليك نماذج للآسيات المداويات.

1ـ الرُّبَيّع بينت معوذ

تحت شجرة الرضوان بايعت «الرُّبَيِّع» رسول الله ﷺ مع المبايعين:

وهى البيعة التى عاهد المسلمون فيها ربَّهم ورسولهم على الموت فى سبيل الله، والتى قال الله فيها:

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

فوجبت لها كلمة الله جلت كلمته.

قال أبو عمر[1]: روت عن النبى ﷺ.

ويتجلى لنا ما كان للربيع من منزلة عند رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى والترمذى وغيرهما عن الربيع بنت معوذ؛ قالت: جاء النبى ﷺ فدخل على غداة بنى بى، فجلس على فراشى كمجلسك منى، فجعلت حويريات لنا يضربن بالدُّفّ ويندبن من قتل من آبائى يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبى يعلم ما فى غد».

فقال لها: «**دعى هذه، وقولى بالذى كنت نقولين**»[2].

وتتحلى منزلة الرسول ﷺ عندها فيما أخرجه ابن منده من طريق أسامة بن زيد الليثى عن أبى عبيدة بن محمد؛ قال: قلت للدبيع بنت معوّد: صفى لى رسول الله ﷺ فقالت. «يابنى، لو رأيته لرأيت الشمس طالعة».

ويتجلى دروها فى المعارك فيما أخرجه البخارى والنسائى وأبو مسلم الكحى عن الربيع بنت معوذ قالت: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، وسقى القوم، ونخدمهم. ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة» [لفظ مسلم].

وفى رواية البخارى: «نسقى الماء ونداوى الجرحى..» الحديث.

أرأيت أيتها الأخت المسلمة كيف كرمها الرسول ﷺ لما تزوجت ووقف إلى جانبها كما وقفت إلى جانب الدعوة؟

أرأيت أنها كانت هى ومريقها يقمن بما يقوم به «سلاح الإمدادات» الآن؟!

---

(1) فى الاستيعاب.

(2) صحيح البخارى: باب ضرب الدف فى النكاح (الوليمة) مع فتح البارى ح 9 ص 109 – 111 قال ابن حجر العسقلانى: فى هذا الحديث إعلان النكاح بالدف، وباغناء المباح، وفيه إقال الإمام إلى العرس وإن كان فيه لهو ما لم يخرج عن حد المناج.

2ـ أم سنان الأسلمية

امرأة من غمَار أَسْلَم - وأسلم بطن من خزاعة - قدمت من باديتها إلى المدينة حين مقدم الرسول ﷺ إليها فبايعته.

ورافقت رسول الله ﷺ إلى خيْبَر.

وهى التى مشطت صفية بنت حُيىّ أم المؤمنين وأعدتها لتزفَ على رسول الله ﷺ .

لقد كانت - رضى الله عنها - مجاهدة جليلة فقد جاءت رسول الله ﷺ وهو خارج إلى «خيبر» فقالت: «يارسول الله، أخرج معك فى وجهك هذا... أخرز السقاء، وأداوى المريض والجريح إن كانت جراح - ولا تكون - وأبصر الرجْل»[1].

فقال رسول الله ﷺ : «**اخرجى على بركة الله، فإن لك صواحب قد كلّمننى وأذنت لهن من قومك، ومن غيرهم. فإن شئت فمع قومك، وإن شئت معنا**». فقالت «أم سنان»: معك.

قال: «**فكونى مع «أم سلمة» زوجتى!**».

قالت: «فكنت معها. وشهدت فتح خيبر»[2].

وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ إلى الجمعة والعيدين. وهى من اللواتى روين عن رسول الله ﷺ قال لامرأة يقال لها: أم سنان: «ما منعك أن تكونى حججت معنا؟» قالت: ناضحان كانا لأبى فلان - تعنى زوجها - حج وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقى أرضا لنا قال: «**فعمرة فى رمضان تقضى حجة معى فإذا جاء رمضان فاعتمرى فإن فيه تعدل حجة**»[3].

3ـ أما زياد الأشجعية

مجاهدة مناضلة، وقفت إلى جانب الجيش الإسلامى يوم خيبر.

أخرج حديها أبو داود، والنسائى، وابن أبى عاصم ورواه رافع بن سلمة عن زياد الأشجعى...

---

(1) عن الواقدى فى المغازى: 687.

(2) الحديث فى المغازى، والطبقات: 8 - 214 ولمزيد من التفصيل يرجع إلى ترجمتها فى. طبقات ابن سعد، الاستيعاب لابن عبد البر، الإصابة لابن حجر، ذيل تاريخ الطبرى.

(3) أخرجه الشيخان إلى قوله: «معى» والنسائى يتمامه.

أنها خرجت مع النبى ﷺ فى غزوة خيبر سادسة نسوة[1]، قالك فبلغ النبى ﷺ فبعث إلينا، فقال: «**بإذن مَنْ خرجتن؟**». ورأينا فى وجهه الغضب، فقلنا: السهام.. ونسقى السويق.. ونغزل الشِّعر... ونعين فى سبيل الله.. فقال: «**أقمن**».

فلما فتح الله عليه خيبر قسَمَ لهن من التمر كما قسم للرجال[2].

4ـ كعيبة بنت سعد الأسلمية

بايعت النبى ﷺ بعد الهجرة.

وهى إحدى النجيبات والمعدودات من طيبات العرب، ومن مضليات نساء عصرها!

لم يكن عملها الشريف مقصورا على مواقف الحروب!

بل كانت تداوى من أَلَمْ به المرض فى كل آن.

كانت تقام لها «خيمة» فى المسجد، تداوى فيها المرضى، وتأسو الجرحى[3]!

وكان «سعد بن معاذ» حين رمى يوم «الخندق» عندها تداوى جراحه، حتى مات - رضى الله عنه[4].

وتقديرا من الرسول ﷺ لجهودها فى خيبر، أعطاها سهم الرجل المجاهد[5] رضوان الله عليها.

ألم تكن -بكل ما أوتيت- من حول الرسول ﷺ وفى خدمة الدعوة الوليدة؟

من حق طبيبات اليوم أن يفخرن بها رائدة فى عالم «الطب والأطباء»! وحق للممرضات أن يفخرن بها رائدة لهن!

5ـ أمية بنت قيس الغفارية

زعيمة الآسيات

هى فتاة من غفار، قبيلة «أبى ذر الغفارى» تسلل نور الإيمان إلى قلبها وهى مازالت فى طور الحداثة!

---

(1) الإصابة ج8 ص 212.

(2) المراجع: أسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر، وتهذيب التهذيب لابن حجر. والحديث أخرجه أبو داود والنسائى وأبن ابى عاصم كما جاء فى الإصابة.

(3) ابن سعد فى الطبقات: 8 - 213.

(4) المرجع السابق.

(5) أبن عمر فى الاستيعاب.

قدمت على رسول الله ﷺ تبايعه – على بعد المسافة – ولها أربعة عشر ربيعًا.

وراحت تتحين الفرصة الموانية لتسهم بعمل ما فى خدمة الدعوة.

خرجت إلى خيبر[1] على رأس نسوة من غفار تتزعمهن وهى لم تبلغ المحيض، تريد أن تقوم بما تقوم به البعثة الطبية فى ميدان القتال. وتلقى الرسول ﷺ ، فيردفها على حقيبة رحله... ويتاح لها أن تحسن القيام بما تقدمت، وتلقى من الرسول ﷺ مكافأة تكريما!!

لقد قلدها الرسول ﷺ قلادة لم تغادر صدرها حتى ماتت ودفنت معها طبقا لوصيتها!

لقد أسلمت بعد الهجرة وشهدت مع النبى ﷺ خيبر كما قال ابن سعد.

ألا تستحق أن يفرد لها التاريخ صفحة من صفحاته؟!

لقد كانت من حول الرسول ﷺ فى خدمة الدعوة.. راحت تخدم الجرحى وتقضى حقهم، وتواسى فى الوغى من نكب!

إن النياشين والقلائد فى القرن العشرين لتتضاءل أمام هذه القلادة العظيمة.

وحق لها ألا تغادر صدرها وقبرها!

وإذا كان كل منا سوف يحشر على ما مات عليه، فإن أمية سوف تحشر، وفى عنقها تلك القلادة التى تشهد لها عند ربها!!

لقد لقيت ربها وفى أذنها أصداء كلمات طاهرة كريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾.

ولعلك اشتقت إلى مزيد بيان عنها... وسوف أنقل لك صفحة من سيرة ابن هشام[2] لتعيشى مع طلائع الإيمان... مع أمية بنت قيس الغفارية.

6ـ صفحة من السيرة النبوية لابن هشام

يقول ابن هشام تحت عنوان: (شهود النساء خيبر وحديث المرأة الغفارية) قال ابن إسحاق:

حدثنى سليمان بن سحيم، عن أمية بن أبى الصلت، عن امرأة من بنى غفار، قد سماها لى، قالت: أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار، فقلنا: يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج

(1) خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام تشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير.

(2) وقد ترجم لها أيضا ابن سعد فى طبقاته، وابن الأثير فى اسد الغابة.

معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر، فنداوى الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: «**على بركة الله**».

قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حدثة فأردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة[1] رحلْه.

قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ، ونزلت عن حقيبة رحله، وإذا بها دم منى، وكانت أول حيضة حضتها قالت: فتقبضت[2] إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم، قال: «**مالك؟ لعلك نفست**»[3]، قالت: نعم. قال: فأصلحى من نفسك، ثم خذى إنا من ماء فاطرحى فيه ملحا، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودى لمركبك.

قالت: فلما رسول الله ﷺ خيبر، رضخ[4] لنا من الفىء، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنفى فأطانيها، وعلقها بيده فى عنقى فوالله لا تقارقنى أبدا».

قالت: فكانت فى عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها.

قالت: «وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحا، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت».

وأراك تقولين: يالها من فدائية تغامر بخوض المعركة لتكون فى خدمة جيش المسلمين تداوى الجرحى، وتعين جيش المسلمين بما استطاعت، وهى تشهد فى طريقها إلى خيبر أول حيضة لها!

وأراك تقفين على سماحة الإسلام وتقدير القائد لكل الجهود ومكافأته عليها ماديا وأدبيا، وسوف تقولين: إنه الإسلام!

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الأعضاء!

---

(1) حقيبة الرحل: مؤخرته.

(2) أمسكت بها حياء لأخفى الدم.

(3) نفست: حضت.

(4) رضخ لنا: أعطانا عطاء يسيرًا لم يصل إلى نصيب السهم.

7 ـ رفيدة الأنصارية أو الأسلمية

امرأة من قبيلة أسلم كانت تداوى الجرحى ممن ليس لهم من يقوم يعلاجهم فى خيمة لها بالمسجد النبوى.

ذكرها ابن إسحا فى قصة سعد بن معاذ لما أصابه ما أصابه بالخندق فقال الرسول ﷺ .

«**اجعلوه فى خيمة رُفَيْدَة التى فى المسجد حتى أعوده من قريب**».

ثم يقول ابن اسحاق: وكانت امرأة تداوى الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين.

وقال البخارى فى الأدب المفرد: حدثنا أبو نعيم: قال: «ولما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فقيل: حولوه عند امرأة يقال لها: «**رُفَيْدَة**»، وكانت تداوى الجرحى، وكان رسول الله ﷺ إذا مر به يقول:

«**كيف أمسيت؟**» وإذا أصبح قال: «**كيف أصبحت؟**:» فيخبره. وأورده فى التاريخ بقصة وفاة سعد، وسنده صحيح.

ومهما تحدثوا عن العلاج بالمجان، فسوف تظل «رفيدة» رائدة على مر الزمان!

وفيها يقول الشاعر أحمد محرم فى ديوانه «الإلياذة الإسلامية»:

رفيدة: علمى الناس الحنانا ... وزيدى قومك العالين شانا

خذى الجرحى إليك فأكرميهم ... وطوفى حولهم آنا فآنا

وإن هجع النيام فلا تنامى ... عن الصوت المردد حيث كانا

وتمر الأيام الأعوام وتظل خيمة «رفيدة» بالمسجد النبوى النموذج الرائع للخدمات الطيبة فى صدر الأسلام.

تاسعا:

المرأةُ المُسلمَة عالمة وراوية للحديث

- الصديقة بنت الصديق.
- أم حميد امرآة ابى حميد الساعدى.
- أم أنس والدة عمران بن أبى أنس.
- فاطمة بنت أبى أسد بن هاشم.
- أم معبد الخزاعية.
- أم سليم بنت ملحان.

وايات للحديث عالمات.

نماذج منهن!

من يقلب صفحات التاريخ يجد أن النساء فى صدر الإسلام كان منهن معلمات فضليات، انتفع بعلمهن مالا يحصى من الرجال والنساء!

ولا عجب؛ فقد أقبلن على رواية الحديث إقبالًا عظيمًا وروى عنهن الكثيرون والكثيرات.

فهذا «ابن سعد» فى «طبقات» يحدثنا عن سبعمائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ، أو بعض أصحابه.

وهذا «ابن حجر» فى كتابه «الإبانة فى تمييز الصحابة» يترجم لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات، وشهد لهن بالعلم ويوثقهن.

وكان عل رأسهن السيدة «عائشة أم المؤمنين» فقد ضرب بها المثل فى العلم؛ حيث كانت تحدث الناس، وتصحح للصحابة، وتفتيهم، بل وتستدرك على فتاواهم، وأقولهم، حتى الإمام «بدر الدين الزركشى» ألف كاب سماه: «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة».

لقد لحق الرسول ﷺ بريه، وعائشة أم المؤمنين لم تخط إلى التاسعة عشرة، على انها ملأت أرجاء الأرض علما؛ فهى فى رواية الحديث نسيج وحدها - فلم يكن بين أصحاب الله ﷺ من كان أروى منها، ومن ابى هريرة، على أنها كانت أدق منه وأوثق.

وكانت من أنعذ الناس رأيا فى أصول الدين، ودقائق الكتاب المبين.

وكان زعماء الصحابة إذا أشكلت عليهم الفرائض (المواريث) فزعوا إليها فكشفت غوامضها، وضحت ما كان خافيًا.

ونبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء العربيات، وبرزن فى علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وشتى أنواع المعارف وليس أدل على ذلك من أن «الحافظ الذهبى» المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وهو ثقة ن ثقات المحدثين ألف كتابه «ميزان الاعتدال» فى نقد رجال الحديث خرج فيه أربعة آلاف متهم من المحدثين، ثم أتبع قوله بتلك الجملة: و «ما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها»[1].

وعلى مر الزمان منذ عهد عائشة أم المؤمنين حتى عهد الذهبى، نجد أن حديث رسول الله ﷺ ما حفظ ولا روى بمثل ما حفظ فى قلوب النساء ورى على ألسنتهن!

ذلكم الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، أوثق رواة الحديث عقدة، أصدقهم حديثًا - حتى لقبوه بحافظ الأمة - كان من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء[2]. فهل سمع الناس فى عصر من العصور، وأمة من الأمم أن عالما واحدا يتلقى عن بضع وثمانين امرأة علما واحدا؟! ذلك ما يجعلنا نفكر من جديد... ونتساءل: أين نحن على الطريق؟!

وإليك طرفًا من حياة الصديقة بنت الصديق كبيرة محدثات عصرها.

---

(1) ميزان الاعتدال: ج 3 ص 395.

(2) طبقات الشافعية ج 4 ص 273.

1ـ عائشة بنت أبى بكر

أم المؤمنين

في مقدمة من سجل التاريخ فضلهن فى النهضة الثقافية الفكرية منذ عصر النبوة، أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر – رضى الله عنهما – فقد وعى التاريخ من جليل أعمالها وعلمها وفضائلها، ما يملأ النفوس إجلالاً لها وإعجابًا بها!

ولا غرو أن تبلغ عائشة ما بلغته من العلم والثقافة، وبصيرة الفهم وأن تصبح مرجعا اساسيا من مراجع الحديث والسنة، يأخذ عنها المسلمون ما فيه تمام دينهم فهى بنت الصديق فى أكثر خصاله ومناقبه، وهى زوجة النبى ﷺ وأحب نسائه إليه.

دخلت المدرسة النبوية فى نحو التاسعة من عمرها، ولبثت تسع سنين تتلقى عن الرسول ﷺ، وتوفى عنها ملمها ورائدها – وهى ف ريعان الشباب، بعد أن تخرجت على يديه وتلقت عنه، فكانت نابغة عصرها، ومنارًا يسترشد به الناس فى أمور دينهم، ومرجعا من مراجع العلم، ونابغة الفقهاء والمحدثين، وعالمة غزيرة العلم، وراوية من رواة الشعر النابهين.

وإذا كنا نجد الكثير من فضليات المؤمنات، تملأ أخبارهن وأسماؤهن صحائف متعددة فى كتب طبقات المحدثين وغيرهم حتى لقد استغرقت أعلام المحدثات وأبناؤهن المجلد السادس من مسند الإمام أحمد بن حنبل إلا قليلا من صحائفه – فإن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها– تأتى فى مقدمتهن. يقول الإ الذهبى فى سير أعلام النبلاء فى ترجمته لها:

بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة.

وأمها هى أم رومان بنت عامر.

ثم يقول: هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبى الله ﷺ قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا، ودخل بها فى شوال، منصرفه – عليه السلام– من غزوة بدر، وهى ابنة تسع، فروت عنه علما كثيرا طيبا مباركا فيه، وعن أبيها، وعن عمر، وفاطمة، وسعد، وحمزة بن عمرو الأسلمى، وجدامة بنت وهب.

ولقد لقيت ربها ومدة عمرها ثلاث وستون سنة وأشهر.

بعض مزاياها ولمحاث من حياتها تتجلى فيها جوانب القدوة ونواحى العظمة:

كانت السيدة عائشة ممن ولد فى الإسلام، وهى أصغر من فاطمة بثمانى سنين، وكانت تقول:

لم أعل أبويّ إلا وهما يدينان الدين.

وكانت امرأة مهابة جميلة، ومن ثم يقال لها: الحميراء. ولم يتزوج النبى ﷺ بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حبها.

ويقول الإمام الذهبى: ولا أعلم فى أمة محمد ﷺ،

بل ولا فى النساء مطلقا امرأة أعلم منها، ونشهد أنها زوجة النبى ﷺ فى الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك مفخر؟!

كيف كان زواجها؟

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت:

«قال رسول الله ﷺ : «**أريتك فى المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك فى سَرَقةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنت فيه، فاقول: إن يك هذا من عند الله يمضه**»[1] وأخرج الترمذى.. عن عائشة:

«أن جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء إلى النبى ﷺ فقال: هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة»[2].

حب النبى ﷺ لها:

أحبها النبى ﷺ حبا شديدا كان يتظاهر به – كما يقول الإمام الذهبى – حتى أن عمرو بن العاص، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة، سأل النبى ﷺ : أى الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «**أبوها**».

(1) سرقه من حرير: أى قطعة من جيد الحرير. والحديث رواه الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة.

(2) المصدر السابق. وحسنه الترمذى وقال: لا نعرفه إلى من حديث عبد الله بن عمرو بن عمر علقمة المكى.

ويعلق الإمام الذهبى على هذا الحديث بقوله:

وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض[1]، وما كان عليها السلام ليحب إلا طيبًا.

وقد قال: «**لو كنت مُتَّخذًا خليلا من هذه الأمة، لاتخذت أبا بكر خلَيلا، ولكن أخوة الإسلام أفضل**».

فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبيَّ رسول الله ﷺ ، فهو حَرِيٌّ أن يكون بغيضا إلى الله ورسوله.

وحبه – عليه السلام– لعائشة كان أمرا مستفيضا، ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته!

ويروى تقربًا إلى مرضاته!

ويروى الإمام الذهبى عن عائشة قولها:

كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحبى إلى أم سلمة، فقلن لها: إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فقولى لرسول الله يأمر الناس أن يهدوا له اينما كان فذكرت «أم سلمة» له ذلك؛ فسكت فلم يرد عليها. فعادت الثانية، فلم يرد، فلما كانت الثالثة قال:

«**يا أم سلمة؛ لا تؤذينى فى عائشة، فإن والله ما نزل علىَّ الوحى وأنا فى لِحاف امرأةٍ متكن غيرها**»[2].

وهذا الجواب منه ﷺ دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين يأمر إلهى وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها.

ولا عجب إذا سمع أنس يقول:

قال رسول الله ﷺ : «**فضلُ عائشة على النساء كفضلِ الثَّريدِ على سائر الطعام**»[3].

(1) أخرجه الشيخان والترمذى عن عمرو بن العاص.

(2) متفق على صحته.

(3) متفق عليه من طرق عن أبى طوال، سير أعلام النبلاء.

وتقول عائشة – رضى الله عنها–:

«لقد أعطيت تسعا ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران:\

1 – لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته، حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجنى.

2 – ولقد تزوجنى بكرا، وما تزوج بكرا غيرى.

3 – ولقد قبض رسول الله ﷺ ورأسه فى حجرى.

4 – ولقد قبرته فى بيتى.

5 – وإن كان الوحى لينزل عليه، وإنى لمعه فى لحافه.

6 – وإنى لابنة خليفته وصديقه.

7 – ولقد نزل عذرى من السماء.

8 – ولقد خلقت طيبة عند طيب.

9 –ولقد وعدت مغفرة ورزقًا كريما»[1].

فلا عجب إذا كانت أحظى نسائه ﷺ وأحبهن إليه!

النبى ﷺ زوجا:

تعطينا عائشة رضى الله عنها صورة لما كانت تعامل به من رسول الله ﷺ نهديها إلى الأزواج لكى يتعلموا فن المعاملة، وكيف تكون العلاقة بين الزوجين؟!

تقول عائشة – رضى الله عنها – : «كنت أعلب بالنبات شتى اللعب، فتجىء صواحبى فينقمعن من رسول الله ﷺ، فيخرج رسول الله ﷺ فيدخلهن علىَّ، فيلعبن معى»[2].

وفى لفظ «فكانت جواريهن يلعبن معى بها، فإذا رأين رسول الله انقمعن، فكان يسِّربهن إلى».

(1) رواه أبو بكر الآجرى عن أحمد بن يحيى الحلوانى، عنه، وإسناده جيد، وله طريق آخر عن بشر بن هشام: نبأنا الحكم بن هشام، عن عبد الملك بن عمير قال: قالت عائشة لنساء التى ﷺ: «فضلت عليكن بعشر ولا فخر...» ويقول فيه الإمام الذهبى: هذا حديث صالح الإسناد ولكن فيه انقطاع.

(2) بنقمعن: يدخلن فى بيت. أو يتغيبن وراء ستر. والحديث رواه هشام عن أبيه عنها. وأخرجه الإمام الذهبى.

وعن عائشة قالت: «دخلت على رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالنبات[1] فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**» قلت: خيل سليمان، ولها أجنحة. فضحك[2].

ويروى الإمام الزهرى، عن عروة، عن عائشة قالت: «لقد رايت رسول الله ﷺ يقوم عل باب حجرتى، والحبشة يلعبون بالحراب فى المسجد، وإنه ليسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبهم، ثم يقف من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو».

غيرتها:

تقول عائشة رضى الله عنها: «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ما كان رسول الله ﷺ يذكرها».

ويعلق الإمام الذهبى على هذا الحديث فيقول: قلت: وهذا من أعجب شىء، أن تغار – رضى الله عنها – من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبى ﷺ بعائشة بمدينة، ثم يحميها الله نم الغيرة من عدة نسوة يشاركنها فى النبى ﷺ ، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبى ﷺ لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حبُّ ﷺ لها، وميله إليها، فرضى الله عنها وأرضاها.

حسن العهد من الإيمان:

وتحكى لنا عائشة –رضى الله عنها– صورة من صورة تلك الغيرة ومعالجة الرسول ﷺ للموقف فتقول: «دخلت امرأة سوداء على النبى ﷺ ، فأقبل عليها. قالت: فقلت يا رسول الله، أقلبت على هذه السوداء هذا الإقبال؟!

فقال: «**إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**»[3].

رؤية اللّه:

(1) أى: اللعب. كما فى الطبقات (8: 44).
(2) سير أعلام النبلاء.
(3) سير أعلام النبلاء ج: 3 ص 118.

وتضع السيدة عائشة – رضى الله عنها– النقط على الحروف وتحسم الخلاف فتقول: «من زعم أن محمد ﷺ رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله تعالى ولكنه رأى جبريل مرتين فى صورته، وخلقه سادًا ما بين الأفق»[1].

الهجر الجميل:

ويصور لنا الحديث الذى أخرجاه فى الصحيحين لأبى أسامة عن هشام ما يسود العلاقة بينهما فى حالى الرضا والغضب بلفظ: «**إن لأعلم إذا كنت عنى راضية، وإذا كنت علىَّ غضبى**». قالت: وكيف يا رسول الله؟!

قال: «**إذا كنت عنى راضية قلت: لا روب محمد. وإذا كنت علىَّ غضبى قلت: لا ورب إبراهيم**». قالت أجل والله، ما أهجر إلا اسمك»[2].

الرخصة فى التيمم:

ويروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:

إنها استعارت قلادة فى سفر مع رسول الله فانسلت منها، وكان ذلك المكان يقال له: الصلصل.

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فطلبوها حتى وجدوها.

وحضرت الصلاة، ولم يكن معهم ماء، فصلوا بغير وضوء، فأنزل الله آية التيمم.

فقال لها أسيد بن الحضير: جزاك الله خيرا، فوالله ما نزل بك أمر قط تكرهينه إلا جعل اللّه لك فيه خيرا»[3].

النبى ﷺ يترضّاها:

روى أبو نعيم عن النعمان بن كثير قال:

(1) المصدر السابق، وهذا حديث – كما قال الإمام الذهبى – صحيح الإسناد، ولم يأننا نص جلى بأن النبى ﷺ رأى الله تعالى بعينيه، وهذه المسألة مما لا يسع المرء المسلم السكوت عنها، فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة. وأما رؤية الله عيانًا فى الآخرة، فأمر متيقن تواترت به النصوص، جمع أحاديثها الدارقطنى والبيهقى وغيرهما.

(2) يقول الإمام الذهبى. تابعه على بن مسهر. وأخرجه النسائى من حديث على.

(3) واه ابن نمير، وعلى بن مسهر عنه كما قال الإمام الذهبى.

استأذن أبو بكر على النبى ﷺ فإذا عائشة ترفع صوتها عليه، فقال يا بنت فلانة، ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ ! فحال النبىُّ ﷺ بينه وبينها.

ثم خرج أبو بكر فجعل النبى ﷺ يترضاها وقال: ألم ترينى حلت بين الرجل وبينك.

ثم استأذن أبو بكر مرة أخرى فسمع تضاحكهما فقال: أشركانى فى سَلْمكما كما أشركتمانى فى حربكما[1].

سباق:

ويجرى الرسول ﷺ بينه وبين عائشة سباقا، فقد جاء فيما رواه هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: «سابقنى النبى ﷺ فسبقته ما شاء، حتى إذا رهقنى اللحم سابقنى فسبقنى، فقال: «**يا عائشة، هذه بتلك**»[2].

لقد كانت أعرف الناس برسول ﷺ، وأرعاهم لما يريده، ويخفف الجهد عنه، وكان لها من الفهم والرأى والبصيرة ما يطمئن إليه. وساعده ذلك على أن يفرغ لأعبائه الكبار التى تلقيها عليه مهما رسالته الجليلة.

ولقد شاركت فى شئون مجتمعها برأيها وجهدها مع المحافظة على الحجاب الذى فرض على أمهات المؤمنين.

لقد أعطى الإسلام المرأة الحق فى التعليم، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأهاب بها أن تصل غلى أعلى المستويات العلمية، يدفعها إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الآية 114 من سورة طه].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 85].

(1) أخرجه أبو داود والنسائى من طريق حجاج بن محمد عن يونس نحوه، لكنه قال: عن ابيه عن إسحق، عن العيزار، عن النعمان، وروى نحوه أحمد فى مسنده.

(2) يقول الإمام الذهبى: ورواه أبو إسحق الفزارى، عن هشام، فقال: عن أبيه، عن ابى سلمة، عنها. أخرجه هكذا أبو داود.

كما أوجب على أمهات المؤمنين أن يعلمن الناس ذكورهم وإنائهم:

﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [الأحزاب: 34].

فكان الرجل ياتى إليهن ويستفتيهن، ويتلقى ما يلقينه من أحكام الله ومكارم الأخلاق.

ويروى عن السيدة عائشة – رضى الله عنها– أنها قامت بدور كبير فى هذا المجال حيث كان المسلمون يفزعون إليها فى القضايا العملية، والمسائل الفقهية، فتذكرهم بالحق فيما اختلفوا فيه.

وإلى جانب ذلك أقر الإسلام مشاركة المرأة للرجل فى ميدان القتال وأفسح لها السبيل لتخرج مع الجيوش لتمريض المرضى، ومدواة الجرحى وخدمة الجيش.

ويقول الفقهاء فى ذلك:

إن الجهاد فرض كفاية ، ولا يجب على أصحاب الأعذار لأعذارهم، ولا يجب على المرأة لأنها مشغولة بحق زوجها، ولكن إذا أذن الزوج لها أن تخرج مجاهدة، أو أخذها معه فى الجهاد، لا يكون عليه ولا عليها فى ذلك من حرج.

وقالوا: هذا كله إذا لم يهجم العدو، فإذا هجم العدو وجب على جميع الناس أن يخرجوا لدفاع عن الحوزة فتخرج المرأة بغير إذن زوجها، كما يخرج الولد بغير إذن أبيه، والعبد بغير إذن سيده[1].

حرصها على كرامه المرأة:

وكانت السيدة عائشة – رضى الله عنها– شديدة الدفاع عن المرأة حريصة على كرامتها، كما كانت فى نفس الوقت شديدة الإنكار على اللواتى يخالفن بعض أحكام الشريعة، فقد واجهت نساء «حمص» عندما نزلن عليها قائلة: «لعلكن من الواتى يدخلن الحمامات، سمعت رسول الله ﷺ يقول»:

(1) محمود شلتوت. الإسلام عقيدة وشريعة ص 200 – 201.

«**أيُّما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ستْرَ ما بينها وبين الله**»[1].

وحنيما رأت تغيرا فى ملابس بعض النساء بعد عهد النبى ﷺ أنكرت ذلك وقالت: «**لو أن رسولَ الله ﷺ رأى ما أحدث النساءُ لمنعهنَّ المسجد كما مُنِعَتْ نساءُ بنى إسرائيلَ**»[2].

ونفتح صحيح مسلم على باب «الإحسان إلى النبات» ليروى لنا عنها فيقول:

عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: جاءتنى امرأة ومعها ابنتان لها، فسألتنى فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة؛ فأعطيتها إيها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئا، ثم قامت فخرجت وابنتاها!

فدخل علىَّ النبى ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبى ﷺ : «**من ابتلى**[3] **من البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترا من النار**».

«ما رأيت أَحداً بسنن رسول الله ﷺ ، ولا أفقه فى رأى إن احتيج إليه، ولا أعلم بآية فيم نزلت، ولا فريضة من عائشة[4].

وتحدثنا السيدة عائشة – رضى الله عنها– فيما رواه النسائى فى عشرة النساء، وأخرجه مسلم فى صحيحه، فتقول: «والله ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له قط، ولا خادما له قط، إلا أن يجاهد فى سبيل الله.

ولا خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما، وإن كان إثما كان أبعد الناس.

والله ما انتقم لنفسه من شىء قط يؤتى إليه حتى ينتهك من حرمات الله».

وكانت رضى الله عنها تحسن القراءة، ولم يكن يعرف ذللك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله ﷺ .

---

(1) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

(2) متفق عليه.

(3) الابتلاء الامتحان، لكن أكثر استعمال الابتلاء فى المحن، والنبات مما يَعَدّ منها؛ لأن أكثر هوى الخلق فى الذكور، والإسلام لا يفرق بين البنات والذكور فالله هو الواهب، يهب لمن يشاء إناثا، ويهب لمن يشاء الذكور، والنساء شقائق الرجال، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض.

(4) الطبقات: (2/ 375).

وكانت زوجات رسول الله ﷺ جميعا قسيمات عائشة فى إذاعة العلم وإفاضة الدين على المسلمين.

وكما كانت عائشة أم المؤمنين تجيد القراءة، كانت حفصة أم المؤمنين تحسن الكتابة، وكانت الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية هى التى علمتها إياها[1].

ولقد ذكر القاسم بن محمد بن ابى بكر - ابن اخى عائشة أم المؤمنين- أنها استقلت بالفتوى زمن أبى بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم- إلى أن توفيت - رحمها الله[2].

ومهما حاولت أن أحصى مناقبها فلن أُلِمَّ بها، ويقول ابن عبد البر: إنها كانت إلى جانبَ عملها بالتفسير والحديث والفقه، عاملة وعلى مستوى عالٍ بالطب والشعر والأنساب!

وهى التى نزل القرآن ببراءتها من فوق سبع سموات رضى الله عنها.. وإليك بعض ما قيل فيها:

2ـ قالوا فى عائشة[3]

قال أبو برد بن أبى موسى عن أبيه:

ما أشكل علينا - أصحاب محمد ﷺ - أمر قط، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما..

وقال مسروق: رأيت مشيخة اصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وقال عروه بن الزبير: ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفرائضه، ولا بحلال ولا بحرام ولا يشعر ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة.

وقال أيضًا: ما رايت أعلم بفقه ولا طب ولاشعر من عائشة.

وقال أبو عمر بن عبد البر: «إن عائشة كانت وحيدة عصرها فى ثلاثة علوم: علم الفقه، وعلم الطب، وعلم الشعر.

(1) الإصابة (ج 7 ص 120 - 121).
(2) الطبقات (2/ 275).
(3) الإصابة فى تمييز الصحابة.

وقال أبو الزناد: ما رأيت أحد أزوى لشعر من عروة فقلت له: ما أرواك! فقال: ما روايتى فى رواية عائشة؟ ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعرًا.

وقال الزهرى: لو جمع علم عائشة بعلم جميع أزواج النبى ﷺ وجميع النساء، كان علم عائشة أكثر، وفى رواية «أفضل».

وقا ل معاوية بن أبى سفيان: يا زياد، أى الناس أعلم؟ قال زياد: أنت يا أمير المؤمنين.

قال: أعزم عليك.

قال: أما إذا عزمت علىَّ فعائشة.

وقال محمد بن عمر: ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتا والمائة بيت.

وقال عطاء بن أبى رباح: كانت عائشة أفقه الناس واعلم الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة.

وقال المقداد بن الأسود: ما كنت أعلم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم يشعر ولا فريضة من عائشة.

وفى شرح الزرقانى وفتح البارى: أن عائشة كانت فقيهة جدا حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها.

وقال الذهبى فى الكاشف: إن عائشة أفقه نساء الأمة.

وقال الزركشى فى المعتبر: إن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب كان سألانها فى مسائل فقهية عديدة.

وقالت عائشة: «إن الآية كانت تنزل علينا فى عهد رسول الله ﷺ فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزجرها ولا نحفظها».

مسند عائشة:

روت عن رسول الله ﷺ (2210 حديث أخرج لها منها ف الصحيحين: 297 حديثا، والمتفق عليه منها (174 حديثًا)، وانفرد البخارى بأربعة وخمسين حديثًا[1].

(1) المجتنى لابن الجوزى، والكمال فى معرفة الرجال للحافظ المقدسى. وفى فتح القدير؛ إن البخارى انفرد بأربعة وسبعين حديثا ومسلم بثمانية وعشرين. وقيل: وخمسين. وقيل: وستين حديثا.

وبذلك يمكننا أن نعد عائشة من المكثرين[1]، فتأتى بعد ابى هريرة (5394: حديثا)، وبعد عبد الله بن عمر بن الخطاب الذى روى (2638 حديثا). وقبل ابن عباس الذى روى (1504: حديثا)، وقبل أبى سعيد الخدرى الذى روى (1170: حديثًا). وجعل بعضهم المكثرين سبعة وأنشد فيهم:

سَبْعُ مِنَ الصَّحْبِ فوق الألف قد نقلوا ... من الحديث عن المختار خير مَضَر

أبــو هــريــرة، سـعـد، جـابـر، أنـس ... صديقة، وابـن عباس كـذا ابـن عُمَر

علمها بالطب:

كان عروة يقول لعائشة:

يا أمتاه، لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة نبى الله، وابنة ابى بكر.

ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول:ابنة أبى بكر، وكان أعلم الناس.

ولكن أعجب من علمك بالطب، من أين هو؟ أو ما هو! قال: فضربت على منكبه وقالت:

أى عُرَية، إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره! أو فى آخر عمره- وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فننعت له الأنعات وكنت أعالجها له؛ فمن ثمَّ»[2].

وكيف لا وقد قال الزهرى فيها:

«لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[3].

ويروى الإمام الذهبى بسنده عن الأحنف قال:

سمعت خطبة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء بعدهم فما سمعت الكلام من فمن مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فم عائشة.

ويقول موسى بن طلحة:

ما رأيت أحدًا أفصح من عائشة.

---

(1) فى المجتنى وفى فتح القدير وفى الكمال: أن مسلما انفرد بثمانية وستين حديثا.

(2) سير اعلام النبلاء ج 2.

(3) المصدر السابق.

إيثار:

وليس أدل على إيثارها غيرها على نفسها مما جاء فى الحديث الذى أخرجه البخارى فى حديث طويل جدا عن عمرو بن ميمون الأودى قال رأيت عمر بن الخطاب – رضى الله عنه– قال: يا عبد الله بن عمر: انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ولا تقل: أمير المؤمين، فإنى لست اليوم بأمير المؤمنين.

وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبه قال: فاستأذن وسلم، ثم دخل عليها وهى تبكى فقال: بقرأ عليك عمر السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرته اليوم على نفسى.. الحديث».

إن سيرتها – رضى الله عنها– مرآة للفتاة ترى فيها كيف تستطيع أن تكون قوية الشخصية فى غير تَبَذُّل.

وأن تحافظ على جمال مظهرها فى اتزان واحتشام كيف تتفهم دينها وتتعمقه حتى تصبح حجة فيه.

وكيف تتحول الكلمة الدينية إلى تطبيق عملى صحيح.

وكيف يكون العطاء الفكرى والمادى.

وكيف تكون الحياة الزوجية التى تساعد الزوج على النهوض بعمله والنجاح فيه.

لقد أعطت السيدة عائشة الكثير والكثير، وكانت مرجعا لكثير من القضايا والمسائل الدينية، ورشحها كمالُ عقلها وسمو خلقها ودقتا وملازمتها للرسول ﷺ لتكون ثقة فى الحديث الشريف.

لقد صحبته ﷺ فى كثير من غزواته، ولم تتردد فى خدمة المحاربين وإغاثتهم بما هم فى حاجة إليه ولقد عرفت بعطفها على الناس وبرها بهم إلى درجة الإيثار.

ولا عجب فهى الصديقة بنت الصديق وأمها أم رومان التى قال فيها الرسول ﷺ : «**من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين، فلينظر إلى أم رومان**».

[أخرجه ابن سعد عن القاسم بن محمد]

ويقول الزركشى فى عائشة: «لم ينكح النبى ﷺ امرأة ابوها مهاجران سواها». رضى الله عنها وأرضاها.

وإنه لمن المجدى أن نتيح لك الانتفاع بحديث روته أم المؤمنين عائشة عن ام سنبلة الأسلمية التى وفدت على البيت النبوى من بادية المدينة زائرة تحمل هديتها إلى النبى ﷺ .

و «البادية» لا تستغنى عنها «الحاضرة»، إذا دعاهم أهل الحاضرة أجابوا، وإن نادوهم لبوا النداء.

إن أهل البادية عرب مثل أهل الحاضرة ترفرف عليهم جميعا أعلام المحبة والتعاون والإخاء!

لقد روت عائشة أم المؤمنين عن «أم سنبلة الأسلمية» حديثها فى اهل المدينة والذى يعلمنا كيف تكون المعاملة بين أهل المدينة وأهل البادية: عن عروة سمعت عائشة تقول:

«إن رسول الله ﷺ قد نهى أن نأكل ما تهديه الأعراب، فدخل رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: «**يا أم سنبلة ما هذا معك؟**»

قالت: لبن أهديته إليك.

قال: «**اسكبى يا أم سنبلة**».

فناولته رسول الله ﷺ فشرب.

فقالت عائشة:

يارسول الله، قد كنت حدثتنا أنك نهيت عن طعام الأعراب، فقال: «**يا عائشة، ليسوا بأعراب، هم أهل باديتنا، ونحن أهل حاضرتهم إذا دعوناهم أجابوا؛ فليسوا بأعراب**».

وأخرج النسائى فى كتاب الكنى عن أم سنبلة:

حدثتهم أنها أتت رسول الله ﷺ بهدية فأبى أزواجه أن يأخذنها، فجاء رسول ﷺ فقال: «خذوها؛ فإن أم سنبلة من بايتنا، ونحن أهل حاضرتها».

ولتنظر إلى هذه البساطة التى تتجلى فيما رواه سليمان بن بلال عن عبد الرحمن، وأخرجه ابن منده حيث يقول فيها: قال: «**اسكبى وناولى أبا بكر، ثم قال: اسكبى وناولى عائشة، ثم قال: اسكبى وناولينيه. فشرب**». ورواه محمد بن إسحاق عن عائشة[1].

أنَّى لنا – اليوم– مثل هذه المشاعر الطيبة بين أهل البادية وأهل الحاضرة؟!

وانى لنا – اليوم– هذا التقدير المتبادل، وتلك المحبة فى الله؟!

بهذه الروح الطيبة سرت العقيدة السهلة البسيطة إلى النفوس فعمرت بحب الله ورسوله...

ألا ما أبعد الفرق بين العرب والأعراب... إن الأعراب كما قال الله فيهم: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: 97].

أما العرب فقد نزل القرآن بلسانهم ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2].

والعرب سواء كانوا فى البادية أم فى الحاضرة إخوة... والبادية هى خط الدفاع الثانى للحاضرة...

إن دعوهم أجابوا... وإن نادوهم لبوا النداء!

ألا ليتنا نعيد النظر إلى قرانا وريفنا فنوطد العلاقة بين القرية والمدينة... علاقة المودة والمحبة؛ لتسود كلمة الحكمة وتنتصر الراية، ويعلو الحق.

عود على بدء:

أم الآن فسوف أذكر لك من أقولها بعضا مما ذكره صاحب نثر الدر: روى أن عائشة قالت:

«مكارم الأخلاق عشر: صدق الحديث، وصدق البأس، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذل المعروف، والتذمم للجار والتذمم للصاحب، وقِرى الضعيف، ورأسهن الحياء»[2].

ورأت رجلا متماوتا فقالت: ما هذا؟

(1) الإصابة ج 8 وأخرجه ابن منده، وابن سعد، وأحمد.

(2) نثر الدر للآبى.. الجزء الرابع ص: 21.

قالوا: زاهد. فقالت: قد كان عمر - رضى الله عنه- زاهدا، فكان إذا قال أسمع وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب فى ذات الله أوجع[1]!

وكانت تقول: لله در التقوى، ما تركت لذى غيظ شفاء[2].

وروى أنها كانت تقول: «لاتطلبوا ما عند الله من عند غير الله بما يسخط الله»[3].

وقالت: من أرض الله بإسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس.

ومن أرضى الناس بإسخاط الله - جلّ ذكره- وكله الله إلى الناس[4].

وفيها يقول الأستاذ العقاد: «إن غزارة الاطلاع والعلم بينة من لغة السيدة عائشة التى امتزجت بأسلوبها فى كل ما نقل عنها، ولا سيما الخطب والوصف خاصة؛ فقد كان لها مادة من اللغة لا تتهيأ بغير محصول كبير من أنباء العربية التى تستقى من أعرق مصادرها، ولاريب أنها كانتتقتدى بأبيها فى حفظ الأخبار والأنساب، كما كانت تقتبس من ميراث أخلاقه وطباعه وملكاته».

2ـ أم حميد

امرأة أبي حميد الساعدي

عابدة من عابدات صدر الإسلام.

روى حديثا ابن أبى عاصم وبقى بن مخلد[5]... أنها قالت: قلت: يا رسول الله، يمنعنا أزواجنا أن نصلى معك!

فقال رسول الله ﷺ : «**صلاتُكُنَّ فى بيوتكُنَّ أفضل من صلاتُكُنَّ فى حجركن، وصلاتُكُنَّ فى حجركن أفضل من صلاتكن فى دوركن، وصلاتكن فى دوركن أفضل من صلاتكن فى الجماعة**».

(1) المصدر السابق ص: 22 والكامل للمبرد: 2/ 164.
(2) نثر الدر للآبى ص: 24.
(3) نثر الدر للآبى ص: 24. والبيان والتبيين 3/ 170، وفى عيون الاخبار 4/ 7: وكان بقال: ... ثم ذكر القول.
(4) نثر الدر للآبى ص: 25 ج 4.
(5) الإصابة ج 8 ص 197.

وأخرجه ابن خيثمة عن عبد الله بن سويد الأنصارى عن عمته أم حميد – امرأة أبى حميد الساعدى – أنها جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله ، إنى أحب الصلاة معك.

قال: «**قد علمتُ أنك تحبين الصلاة معى، وصلاتُك فى بيتك خَيْرٌ..**» فذكر نحوه لكن بالإفراد، وزاد: «**وصلاتك فى دارك خيرٌ من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتُك فى مسجدِ قومِكَ خيرٌ من صلاَتِكَ فى مسجدى**».

قال: «فأمرت فُبنىَ لها مسجد فى أقصى شىء من بيتها وأظلمه، فكَانت تصلى فيه حتى لقيت الله تعالى»[1].

أعرفت أيتها الأخت المسلمة خير مكان لصلات؟!

3ـ أم أنس

والدة عمران بن أبى أنس

وتتوقف الآن مع «أم أنس» زوج أبى أنس، ووالدة عمران بن أبى أنس... لتحدثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ يتيح لمن يعمل به أن يكون فى الجنة مع الرفيق الأعلى من الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا!

خرج الطبرانى من طريق محمد بن إسماعيل الأنصارى عن موسى بن عمران بن أبى أنس عن جدته أم أنس أنها قالت:

«أتيت رسول الله ﷺ فقلت: جعلك الله فى الرفيق الأعلى من الجنة وأنا معك».

قال: «**أقيمى الصلاة؛ فإنها أفضلُ الجهاد، واهْجُرى المعاصى فإنها أفضل الهجرة، واذكرىَ الله كثيرًا فإنه أحب الأعمال إلى الله**»[2].

وأخرجه الطبرانى أيضا من طريق إسحاق بن إبراهيم بن بسطاس، حدثنى مربع عن أم أنس أنها قالت: يا رسول الله، أوصنى، فقال:

(1) الإصابة ج 8 ص 197 والاستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغابة لابن الأثير.
(2) الإصابة.

«**اهجرى المعاصى؛ فإنها أفضل الهجرة..**» الحديث. وفيه «واذكرى الله كثيرًا؛ فإنك لا تاتين الله بشىء أحب إليه من كثرة ذكر الله»[1].

4ـ فاطمة بنت اسد بن هاشم

ابن عبد مناف

فى السنة التاسعة من مسيرة الجهاد العظيم ماتت خديجة – رضى الله عنها– فاشتد حزن الرسول ﷺ على أعز نصرائه، وأصدق وزرائه. مات خديجة، ولكن عطاء المرأة للنبوة لم يمت ولم ينقطع؛ فقد خلفتها على رعاية النبى ﷺ وتأبيده وتثبيته، وتدبير شئونه امرأة لم تكن دونها رأيا ولا عطفا ولا عقلا ولا جاها ولا منصبا، تلك هى «فاطمة بنت أسد».

إنها زوج عمه أبى طالب بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وأم أمير المؤمنين على بن أبى طالب قائد المسلمين، وصِهر البنى الأمين.

لم تكن فاطمة – رضى الله عنها – خلفا لخديجة فحسب، بل كانت خلفا لأبى طالب فى الذَّوْد عن النبى ﷺ والانتصار له، ولم يزل ذلك شأنهَا حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة فتبعته فى هجرته، فكان بيتها فى المدينة، كما كان فى مكة، مآبا طيبا، ومقيلا كريمًا.

يقول الإمام الذهبى فى ترجمته لها: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، والدة على ابن أبى طالب، هى حماة فاطمة، كانت من المهاجرات الأوَل. وهى أول هاشمية ولدت هاشميًا.

كما يقول الزبير بن بكار فيها: هى أول هاشمية ولدت خليفة. ثم بعدها فاطمة الزهراء.

ويقو ابن سعد: كانت امرأة صالحة ،وكان النبى ﷺ يزورها، ويقيل فى بيتها.

ويقول ابن حجر: إنها نوفيت قبل الهجرة، والصحيح: أنها هاجرت وماتت بالمدينة.

وبه جزم الشعبى قال: أسلمت وهاجرت توفيت بالمدينة.

---

(1) المرجع السابق. وفيه: قال أبو موسى: أورد الطبرانى الأول فى ترجمة مستقلة، وأورد الثانى فى ترجمة أم سليم: والدة انس بن مالك، وكأن هذه ثالثة. كذا قال. وليس بظاهر. بل الظاهر أنها واحدة غير أم سليم. وقد أفردها أبو عمر عن أم سليم، لكنه قال: جدة يونس بن عثمان. وكذا قال البخارى فى التاريخ: يونس بن عمران بن أبى انس عن جدته فذكر الحديث باللفظ الأول.

ولمسة الوفاء التى ينبغى ألا نتخلى عنها تتجلى فيما أخرجه ابن أبى عاصم من طريق عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن ابى طالب، عن أبيه «أن النبى ﷺ كفن فاطمة بنت أسد فى قميصه، وقال: «**لم نلق بعد أبى طالب أبرَّ بى منها**»[1].

إن الرسول ﷺ لم ينس لها برها به، ولا برها بزوجة ابنها على: فاطمة بنت رسول الله ﷺ

.

قال الأعمشى، عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى، عن على: قلت لأمى: اكفى فاطمة سقاية الماء وال1هاب فى الحاجة، وتكفيك الطحن والعجن!!

ألم أقل لك إنها كانت نموذجا لزوج العم، وللأم، وللحماة البارة بالنبى ﷺ وفاطمة ابنته؟!

لقد كانت ذات صلاح ودين. عاشت فى خدمة الدعوة الوليدة وتأييدها.

روت عن النبى ﷺ 46 حديثًا.

وفى الصحيحين لها حديث واجد متفق عليه.

فلا عجب إذا ما رأيت الرسول ﷺ يحترمها احترامًا عظيمًا، ويزورها ويقيل فى بيته[2].

وكما كانت فاطمة نموذجا فى نصرة الله، وتأييد رسوله منقطعة القرين كذلك كان لها رسول الله ﷺ يوم لحقت بربها. فقد كفنها فى ثوبه، ونزل فى قبرها، واضطجع فيه، فكان حقا على القبر أن يشرق بنور الله، ويعبق بروحه، ويفيض برحمته.

وقد قيل للنبى ﷺ : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعته بهذه، فقال: «**إنه لم يكن بعد أبى طالب أبر بى منها**»[3]. ذلك فضل الله يختص به من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

---

(1) الإصابة ج 8 ص 60.

(2) يقضى وقت القيلولة والظهيرة. وتجد ترجمة لها فى كل من الإصابة، والاستيعاب، وطبقات ابن سعد، وسير أعلام النبلاء للذهبى، والمجتنى لابن الجوزى.

(3) ابن جرير الطبرى ج 4 ص 1137، 1156 وكتاب الطبقات ج 7 ص 12، 14 والإصابة ج 8 ص 160، وسيرة ابن هاشم ج1 ص 8380. وقد روى الإمام الذهبى الحديث بقوله: قال ابن عبد البر: روى سعدان بن الوليد السابرى عن عطاء عن ابن عباس، قال «لما ماتت فاطمة أم على ألبسها النبى ﷺ قميصه، واضطجع معها فى قبرها. فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا! فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبر بى منها. إنما ألبستها قميصى لتكسى من حل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها» وعلق عليه الإمام الذهبى بقوله: هذا غريب.

5ـ أم معبد الخزاعية

روى أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة، وأبو بكر -رحمة الله - وعامر بن فهيرة[1]، ودليلهما الليثى عبد الله بن أريقط. فمروا على خيمة: «أم معبد الخزاعية» وكانت امرأة برزة جلدة تحتبى[2] بفناء القبة، ثم تسقى وتطعم، فسألوها لحما وتمرا ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك.

وكان القوم مرملين مسنين[3]، فنظر رسول الله إلى شاة فى كسر[4] الخيمة. فقال: «**ما هذه الشاةُ يا أمَّ معبد؟**».

قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم.

قال: «**هل بها من لبن؟**»

قالت: هى أجهد من ذلك.

قال: «**أتأذنين لى أن احلبها؟**».

قالت: بابى وأمى أنت. نعم: إن رأيت بها حلبًا فاحلبها.

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها، وسمى الله، ودعا لها فى شاتها فتفاجْت[5]، عليه، ودرت وأخثرت[6]. ودعا بإناء بريض الرهط[7]، فحلب فيه ثحا[8] حتى غلبه الثُّمال[9]، ثم سقاها حتى روبت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم، وقال: «**ساقى القوم آخرهم شُرْبًا**»[10]، فشربوا جميعا عَلَلا بعد نَهَل، ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره ربايعها وارتحلوا عنها. فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معيد

(1) عامر بن فهيرة مولى أبى بكر، من السابقين إلى الإسلام. شهد بدرا وأحدًا، وقتل يوم بئر معرفة. أسد الغابة 2/ 136.
(2) تحتبى: تجلس جلسة عربية تشد ظهرها إلى ركبتيها بشملة لتتمكن من الجلوس.
(3) مسنين: أصابتهم السنة والفقر.
(4) كسر الخيمة: داخلها.
(5) تفاجّت: بالغت فى تفريج رجليها.
(6) أخرت: أكثرت.
(7) يرضى الرهط: يرويهم ويشبعهم.
(8) ثجًا: لبنا سائلا.
(9) الثُّمال: ما يترادى على سطح اللبن من رغوة جمع ثمالة.
(10) الجامع الصغير: 170، عن الطبرانى.

يسوق أعتزا حبلا عجافًا تساوك[1] هزالا، مخهن[2] قليل، ولا نقا[3] بهن. فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من اين هذا يا أم معبد، والشاء عازبة حيال[4] ولا حلوية فى البيت؟! فقالت: لا والله، إلاَ أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كبت بكيت!

قال: صفيه لى أم مفيد، فقالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق نلم تعبه ثَجْلة[5] ولم تزر به صعَلة[6].

وسيمًا قيسما فى عينيه دعج، وفى أشفاره وطف[7].. وفى صوته صحل[8]، وفى عنقه سطع[9].. وفى لحيته كثاثة... أحور كحل... أزج أقرن[10].

إن صَمَتَ فعليه الوقار.. وإن تكلم سما وعلاه البهاء.. أجمل الناس وابهاه من بعيد.. وأحلاه وأحسنه من قريب.. حلو المنطق، فصل لا نزر[11] ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم تتحدرن، رَبْعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه العين من قصر. غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا له رفقاء يحفون به، إن قال: أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود[12]. صلى الله عليه وسلم.

قال أبو معبد: هو والله صابح قريش الذى ذكر لنا ن امره بمكة ما ذكر.

ولو كنت وافقته لالتمست صحبته، ولأفعلن إن وجدت غلى ذلك سبيلاً[13].

وقيل لعلى بن ابى طالب: كيف لم يصف أحد. النبى ﷺ كما وصفته أم معبد؟!

---

(1) تساوك: تسير سيرًا ضعيفًا.
(2) مخهن قليل: كناية عن الضعف. ومخاخ: جمع مخ.
(3) نقًا أى لا مخ لها لضْعها وهزالها.
(4) حيال: غير حوامل.
(5) ثجلة: ضخامة البطن.
(6) الصعلة: صغر الرأس. وقيل: الخفة والنحول فى البدن.
(7) وطف: طول أهداب.
(8) الصحّل: البحَة.
(9) السّطع: الطول.
(10) الزجج: نقوس فى الحواجب مع طول وامتداد. والأقرن: المقترن الحواجب.
(11) النزر: القليل الذى يدل على العِىّ.
(12) المفند: الضعيف الرأى.
(13) تتمة الخبر فى آسد الغابة: 1/ 45. وقد جاء ذكر الوصف فى بلاغات النساء لطيفور. وجاء أيضًا فى زاد المعاد 2/ 54. ونثر الدرج 4 ص 85 – 88.

فقال: لأن النساء يصفن بأهوائهن فَيُجِدْنَ فى صفاتهن.

وأراك أيها القارئ الكريم تقول:

وماذا كنا فاعلين لو لم نحصل على مثل هذا الوصف الذى يعطينا صورة جلية للنبى ﷺ حتى لكأننا نراه رأى العين؟!

لكنها عاطفة الإيمان تملأ القلوب والأركان فيكشف عنها اللسان بأحلى بيان، وماخرج من القلب فهو إلى القلب.

6ـ أم سليم بنت ملحان

أم أنس بن مالك

أفاضل النساء...

يعرفها الجميع بكيتها... أما اسمها فقد اختلفوا فيه فقيل: سلهة، وقيل رميثة، وقيل: مليكة، وقيل: الغميصاء أو الرميصاء!

على كل فهى أم سليم.. وهى أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فماذا كانت قصتها مع مالك؟

لقد تزوجت مالك من النضر فى الجاهلية، فولدت أنسًا قبل إسلامها، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار. فغضب مالك، وقال لها أصبوت[1]؟

قالت: ما صبوت، ولكنى آمنت بهذا الرجل.

ثم جعلت تلقن أنسًا وتشير إليه بقولها:

قال: لا إله إلا الله.

قال: أشهد أن محمدًا رسول الله.

فكان مالك يقول لها: لا تفسدى على ابنى! فتقول: لا أفسده.

ثم خرج مالك يريد الشام فلقيه عدو فقته، فلما بلغها قَتْلُه، قالت: لا أفطم «أنسًا» حتى يدع الثدى!

(1) أي تركت دينك ودين آبائك في الجاهلية.

وكانت «أم سليم» تقول: لا: أتزوج حتى يبلغ أنس. ويجلس فى المجالس، فيقول: جزى الله أمى عنى خيرًا، لقد أحسنت ولايتى.

تجربة ثاينة:

خطبها أبو طلحة – وهو مشرك – فأبت، وقلت له: يا ابا طلحة، ألست تعليم أن إلهك الذى تعبده هو حجر لا يضرك ولا ينفعك، أو خشبة يأتى بها النجار، فينجرها لك... هل يضرك.. هل ينفعك؟

أفلا تستحيى من عبادتك هذه؟!

فإن أسلمت، فإنى لا أريد منك صداقا غير إسلامك! فوقع الإسلام فى قلب أبى طلحة، ونطق بالشهادتين، فتزوجته، وكان الصداق بينهما الإسلام[1]!!

ألا ليتنا نراعى هذا الجانب عند اختيار الزوج فلا نشق على المسلم، ولا نكلفه ما يرهقه!

لقد روت عن النبى ﷺ أربعة عشر حديثًا، وأخرج لا منها فى الصحيحين أربعة أحاديث أحدهما متفق عليه، وانفرد البخارى بحديث ومسلم بحديث. وفى يوم احد تقوم «أم سليم» بدورها فتسقى العطشى، وتداوى الجرحى.

وأحرج ابن سعد بسند صحيح أن «أم سليم» اتخذت خنجرًا يوم حنين فقال أبو طلحة: يا رسول الله؛ هذه أم سليم معه خنجر. فقالت: اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه، وأقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك؛ فإنهم لذلك أَهْلٌ، فقال لها الرسول ﷺ : «**يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن**».

ويروى ابن حجر بسنده فيقول: أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا ربعى بن عبد الله بن الجارود، حدثنى أنس بن مالك «أن النبى ﷺ كان يزور أم سليم فتتحفه بالشىء تصنعه له». ولا عجب فهى أنصارية خزرجية تنتمى إلى عدى بن النجار.

ويروى أيضًا عن أنس: أنه حدثهم: لم يكن رسول الله يدخل بيتا غير بيت أم سليم إلا على أزواجه، فقيل له: فقال: «**إنى أرحمها؛ قُتل أخوها وأبوها معى**». وأخوها هو حرام بن

(1) وعن انس قال: تزوج ابو طلحة ام سليم – رضى الله عنهما– فكان صداق ما بينهما الإسلام، أسلمت أم سليم قبل أبى طلحة، فخطبها، فقالت: إنى قد أسلمت، فإن أسلمت نكحت، فأسلم، فكان صداق ما بينهما الإسلام» (أخرجه السنائى).

ملحَان الشهيد الذى قال يوم بئر معونة: فزت ورب الكعبة لما طعن من ورائة فطلعت الحربة من صدره». رضى الله عنه. والجواب عن دخوله بيت «أم حرام وأختها» أنهما كانتا فى دار واحدة.

أنس يخدم النبى ﷺ:

وفى الصحيح عن أنس أن أم سليم لما قدم النبى ﷺ قالت: يا رسول الله، هذا أنس يخدمك، وكان حينئذ ابن عشر سنين فخدم النبى ﷺ منذ قدم المدينة حتى مات، فاشتهر بخادم النبى ﷺ.

ويقول الإمام القرطبى: «كانت أم سليم يوم حنين من بين الذين ثبتو مع رسول اللّه ﷺ وهى مسكة بعيرا لأبى طلحة، وفى يدها خنجر دفاعا عن رسول الله ﷺ».

ويفرد الإمام مسلم فى صحيحه باب يتناول فيه فضائل أبى طلحة الأنصارى وزوجه «أم سليم».

ومن حق الزوجة المسلمة أن تطَّلع على شىء من فضائل أم سليم لتعرف كيف كانت تتصرف فى الشدائد، وكيف كانت تصبر، وكيف واجهت الابتلاء بإيمان لايتزعزع، وثبات ويقين.

عن أنس – رضى الله عنه –: مات ابن لأبى طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه، حتى أكون أنا أحدثه.

قال: فجاء ففربت إليه عشاء، فأكل وشرب.. فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع، واصاب منها، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟

قالك لاز

قالت: فاحتسب ابنك!

قال: فغضب، فقال: تركتنى حتى تلطخت، ثم أخبرتنى بابنى فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما فى غابُر ليلتكُمَا**».

قال: فَحَمَلَت.

وقال: فكان رسول الله ﷺ فى سفر وهى معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر، لا يطرقها طروقا، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول ﷺ.

قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبنى أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل مع إذا دخل معه، وقد احتبست بما ترى.

قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذى كنت أجد، انطلق، فانطلقنا.

قالك وضربها المخاض حين قدما، فولدت غلاما، فقالت لى أمى، يا أنس، لا يرضعه أحدٌ حتى تغدو به على رسول الله ﷺ .

فلما أصبح احتملته، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فصادفته، ومعه ميسم[1] فلما رآنى قال:

«لعلَّ أمَّ سليم ولدت»؟!

قلت: نعم.

فوضع الميسم.

قال: وجئت به، فوضعته فى حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها فى فيه حتى ذابت، ثم قذفها فى فى الصبى فجعل الصبى يتلمظها[2].

قال: فقال رسول الله ﷺ : **«انظروا إلى حُبّ الأنصار التمر»**.

قالك فمسح وجهه، وسماه عبد الله، فأنجب ورزق أولادًا قرأ القرآن منهم عشرة.

والآن... لم يبق إلا العلم البنَّاء...

وهذه دعوة موجهة إليك...

فهل أنت على استعداد لتلقى الدعوة؟!

---

(1) المسيم: هى الآلة التى يكوى بها الحيوان من الوسم وهو العلامة.

(2) أى يديرها بلسانه بحركها، ويتشبع أثر التمر. ويروى: «أبت الأنصار إلا حب التمر». «الطبقات».

دعوة إلى العمل الإيجابى

قال الله تعالي:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 71]

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

الفهرست

مقدمة	5
نماذج القدوة الحسنة والأسوة الطيبة	9
أولا: المرأة المسلمة أما وحاضنة ومرضعا	11
1 – أم هانئ	14
2 – لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية	16
3 – أروى بنت عبد المطلب	17
4 – أم أيمن	18
5 – حليمة السعدية	20
6 – الشيماء بنت الحارث السعدية	21
ثانيا: المرأةُ المُسلمَة زوْجة	23
1 – خديجة بنت خويلد	26
2 – سودة بنت زمعة	28
3 – زينب بينت محمد	30
4 – رقية بنت رسول الله ﷺ	35
5 – أم حكيم بنت الحارث المخزومية	37
6 – خولة بنت مالك بن ثعلبة	38
ثالثا: المرأةُ المُسلمَة بنتا	41
1 – فاطمة بنت النبي ﷺ	44
2 – أسماء بنت أبي بكر الصديق	48
3 – درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب	52
4 – أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط	53
5 – خنساء بنت خذام	55

6 – بريرة	57
رابعا: المرأةُ المُسلمَة أختا	61
1 – صفية بنت عبد المطلب	64
2 – فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية	67
3 – فاطمة بنت الوليد بن المغيرة	68
4 – سفانه بنت حاتم الطائي	69
5 – الفارعة بنت أبي الصلت الثقفية	71
6 – فاطمة بنت عتبة بن بيعة	72
خامسا: المرأةُ المُسلمَة مبايعة ووافدة	73
1 – أمتحان القبول	76
2 – أميمة بنت رقيقة	77
3 – معاذة جارية عبد الله	78
4 – هند بنت عتبة	79
5 – أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية	82
6 – حواء بنت يزيد بن السكن لأنصارية	83
7 – أم رعة القشرية	84
سادسا: المرأةُ المُسلمَة مهاجرة	87
1 – أم سلمة	90
2 – أم حبيبة بينت أبي سفيان	94
3 – أسماء بنت عميس	95
4 – ليلي بنت أبي حثمة بن حذيفة	96
5 – الشفاء بنت عبد الله	96
6 – فاطمة بنت قيس بن خالد	97
سابعا: المرأةُ المُسلمَة مجاهدة	99

1 – نسِيبَة بنت كعب الأنصارية	102
2 – أم حبيب بنت العاص	106
3 – أم حرام بنت ملحان	107
4 – حمنة بنت ححش الأسدية	108
5 – هند بنت عمرو بن حرام	109
6 – سمية	112
ثامنا: المرأةُ المُسلمَة مداوية وآسية	115
1 – الرُّبَيّع بينت معوذ	118
2 – أم سنان الأسلمية	119
3 – أما زياد الأشجعية	119
4 – كعيبة بنت سعد الأسلمية	120
5 – أمية بنت قيس الغفارية	120
6 – صفحة من السيرة النبوية لابن هشام	121
7 – رفيدة الأنصارية أو الأسلمية	123
تاسعا: المرأةُ المُسلمَة عالمة وراوية للحديث	125
1 – عائشة بنت أبي بكر	129
2 – أم حميد	144
3 – أم أنس	145
4 – فاطمة بنت اسد بن هاشم	145
5 – أم معبد الخزاعية	147
6 – أم سليم بنت ملحان	149
دعوة إلى العمل الإيجابي	155